جامعة الكوت
مركز البحوث والدراسات والنشر

لامِيَّةُ ابْنِ طَالِبٍ

دِراسةٌ تاريخيةٌ نقدية

أ. د. المتمرس عبد اللطيف الطائي

أ. د. كريم الوائلي

الطبعة الاولى
٢٠٢٥

منشورات

مركز البحوث والدراسات والنشر

جامعة الكوت

٨١١/ ٢٠٧

ط ٢٩٩ الطائي، عبد اللطيف.

لامية ابي طالب/ عبد اللطيف الطائي، كريم الوائلي.

- ط١.- بغداد: مركز البحوث والدراسات والنشر، مطبعة جامعة الكوت ، ٢٠٢٥.

١٥٤ص؛ ٢١ سم.

١ - الشعر العربي - عصر صدر الاسلام -دراسات - أ- العنوان

رقم الايداع

١٧٦٤ /٢٠٢٥

المكتبة الوطنية/الفهرسة اثناء النشر

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

١٧٦٤ لسنة ٢٠٢٥ م

ISBN: 978-9922-726-33-5

ملاحظة

مركز البحوث والدراسات والنشر في جامعة الكوت
غير مسؤول عن الافكار والرؤى التي يتضمنها الكتاب
والمسؤول عن ذلك الكاتب او الباحث فقط.

University of Kut

مطبعة جامعة الكوت

المقدمة

عام الحزن علامة فاصلة في تاريخ الإسلام والمسلمين، وكان عاما قاسيا فَقَدَ فيه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم سنده الأثير الذي وقف معه هو وزوجه في قليل من السراء وكثير من الضراء ، فلقد وجد النبي في عمه أبي طالب مقام الأب، فلقد كان أباه حين فقد والده ، ووجد في زوجه فاطمة بنت أسد مقام الأم ، ولعل لحظات دفنها وما عمله الرسول يكشف بوضوح مكانة هذه المرأة ، فلقد كانت هي أمه بعد ان فقد أمه .

وشخصية أبي طالب فاعلة في تاريخ الإسلام ومؤثرة ، وله طريقته الخاصة وأسلوبه الفريد في التفاعل مع الأحداث، فلقد حمى الرسول ودافع عنه، وآمن بأفكاره وعقيدته، وأثارت شخصيته كثيرا من الجدل والنقاش ، كان جُلّ هذا الجدل يعود لأسباب سياسية، وشنشنة قبلية، لا تخفى دلالاتها على بصير، وليس غريبا على الأمة التي رضيت أنْ تشتم الامام علي عليه السلام سنوات طويلة بسبب مواقف معادية للدين، يحملون ضغائن القبلية وهوس الجاهلية واضطروا لاعتناق العقيدة، ترهيبا لا رغبة، كونهم من الطلقاء، هي الأمة نفسها التي كفّرت والده .

ونحاول في هذه الدارسة أنْ نجوس في عوالم شخصية أبي طالب، وتتبع بعض الأحداث التاريخية التي عاشها، وتحليل نصوصه الأدبية، ولذلك وقفنا عند قصيدته المعروفة (لامية أبي طالب) التي مدح فيها الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم،

وبناء على ذلك كان التاريخ حاضرا وقويا، واحتل مساحة من الدرس على مستويين، **أولهما : (قراءة التاريخ)** التي تعالج القراءات المتعددة للتاريخ، المنحازة عن الحقيقة، او المنحازة لها، ويكشف هذا المبحث عن قراءة ميتة، وقراءة حية نقدية تتجاوز القراءة الأيديولوجية والتبجيلية والعدائية والاسقاطية والتبسيطية . **وثانيهما: (لامية أبي طالب دراسة إحصائية توثيقية)** دراسة تتوغل بعمق في كشف المسكوت عنه في تاريخنا، وتسلط الأضواء على صحة اللامية ومضامينها، ومن اجل كشف الحقيقة وتسليط الأضواء على الحقائق التي سكت التاريخ عن ذكر الكثير منها، مشوها بعضها ومحرفا أخرى لصالح مَنْ كتب التاريخ.

ومن ثم تأتي الدراسة النقدية **(تداعيات متألم، قراءة في لامية أبي طالب)** التي تكشف عن وحدة القصيدة

وبنائها وايقاعها، إذ يكشف التحليل صدق هذه الوثيقة وما تشتمل عليه من دلالات .

واضطلع الباحثان بكتابة البحوث المشار اليها آنفا، على النحو الاتي :

قراءة التاريخ: أ. د كريم الوائلي .

لامية أبي طالب دراسة تاريخية توثيقية: الأستاذ المتمرس الدكتور عبد اللطيف الطائي .

تداعيات متألم ،قراءة في لامية أبي طالب: أ.د كريم الوائلي .

نأمل أنْ تكون هذه القراءة مدخلا لمزيد من الدرس والبحث، من أجل الكشف عن مجاهل من تاريخنا، وبالذات عن المسكوت عنه، وهو كثير، والله الموفق .

المؤلفان

قراءة التاريخ

ا. د كريم الوائلي
جامعة الكوت

" النص مهما كان عظيما، إذا قرأه عقل صغير يتحول هذا النص الى نص صغير "

أدونيس (علي احمد سعيد)

١

أصبحت العودة الى التاريخ وقراءته من جديد ضرورة مُلحّة تفرضها طبيعة المشكلات المعاصرة والماضية على حد سواء، إنَّ اختيار جانب أو أكثر من التراث التاريخي والانحياز له، يظهر ارتباط هذا الخيار بالقضايا الشائكة التي تواجه واقعنا التاريخي المعاصر، إذ يسعى الباحثون جاهدين لإيجاد حلول أو إجابات لمعضلات تاريخية قائمة، وإذا كان استلهام التراث التاريخي على منح قوة دفع للحاضر، فإنه قد يُكرّس في الوقت ذاته واقعاً متخلفاً إذا ما أُسيء فهمه أو توظيفه، وهنا يكمن الفرق الجوهري بين من يعود إلى التراث التاريخي ليُعزز حالة سلبية قائمة في الحاضر، ومن يغوص فيه ليؤسس لواقع جديد يحمل إمكانية تطوير

الحاضر نفسه، ويضخ فيه شريان الحياة، متجاوزاً أي مظاهر للتراجع .

يتميز تراثنا التاريخي بعمقه وأصالته، ويزخر بتنوع أشكاله واختلاف اتجاهاته وتعدد مصادره، فهو يجمع بين عناصر متعددة متباينة وأحيانًا متناقضة، مما أكسبه غنىً وثراءً عبر العصور، وهذا التنوع في جوانبه ومكوناته جعله مصدرًا لطاقات مؤثرة يمكننا الاستفادة منها إذا ما أحسنّا فهمه وتفسيره، يمكننا استيعاب روحه الحقيقية والتفاعل مع أبعاده الإيجابية بما يعود بالنفع على حاضرنا ومستقبلنا، كما يُتيح لنا النظر إلى طبيعة القضايا التي تناولها المؤرخون المنصفون، واستكشاف المناهج والأدوات التي اعتمدوها لحل تلك القضايا، مع مراعاة وضع هذه المعالجات ضمن سياقاتها المتعددة واحترام منطقها الداخلي، ومن هنا يمكننا استثمار هذا التراث في تطوير رؤى جديدة ومبتكرة ملائمة لاحتياجات عصرنا.

تدل القراءة لغويا على الجمع، والضم، والتفقه، والتلفظ والإبلاغ[1]، و يدل التلفظ على إخراج الوحدات الصوتية من الجهاز النطقي، ويشتمل على الفهم الأولي البسيط الذي نهدف إلى تحديده، غير أن القراءة تخرج إلى دلالة أخرى تعني الفهم " التفقه " والتوصيل " الإبلاغ "، والأخيرة تتضمن الفهم أصلا، إذ كيف يمكن التوصيل دون فهم ووعي لما في الخارج والذات سواء بسواء. ومن ثم فإن القراءة تعني تتبع الرموز اللغوية، ووعي دلالاتها وإدراك معانيها، بعد وعي طبيعة الأنظمة اللغوية ـ صوتية، وصرفية، ونحوية، ودلالية ـ التي تتضمنها أي لغة، وهذا يعني أيضا أنَّ القارئ يقوم بتكييف هذه الرموز " على نحو نسقي ليدركها في قران دون غيره، في الوقت الذي تقوم فيه الرموز بتوجيه حركة القارئ ـ عبر فعل الإدراك ـ إلى أحد القرانات المدركة "[2]

---

[1] محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر– بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤م، مادة: قرأ، ١/ ١٢٨ـ ١٣٣.

[2] جابر عصفور، قراءة التراث النقدي، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، ص ١٨.

بمعنى أن الذات تتفاعل مع النص المقروء وتقدم ناتجا من تجادلهما، وهذا يعني ان للقراءة دلالتين : خارجية وداخلية، إذ تدل الاولى على مجرد التلفظ واخراج الوحدات الصوتية عبر جهاز النطق وبحسب الأنظمة اللغوية : صوتية، وصرفية، ونحوية، ودلالية، وتدل الثانية على الفهم، لتعني تجاوز التلفظ الى التفسير والتأويل، وهذا يعني ان هناك ثلاثة عناصر أساسية تكون القراءة : القارئ والمقروء وناتج القراءة .

ان العلاقة بين القارئ والمقروء ليست سلبية في كل الاحوال إذ يتحول القارئ او المقروء الى مجرد طرف فاعل، ويتحول مقابله الى طرف منفعل، إذ يؤثر كل منهما في الآخر، ويتفاوت التغاير لدرجة يؤثر بناتج القراءة، إن قراءة الحدث التاريخي/ النص لا يعني تسليما بالنص او كون القارئ يتحول الى صدى للنص، بل انه يصبح أحد احتمالاته الكثيرة، ودلالاته المتنوعة التي يمكن أنْ يتضمنها النص، اذن " هناك تواصل وتحاور بين النص وقارئه، والعلاقة بينهما هي علاقة بنيوية

تجعل احدهما يتوقف على الاخر، فالقارئ يرتهن للنص، ولكن النص بدوره يرتهن بقراءة كل قارئ " [١]

وجدير بالذكر أنَّ هناك قراءة سطحية للنص، تأخذ بعين الاعتبار" المعنى الحرفي بحسب ظاهر النص"[٢]، غير ان الدلالة العميقة للنص تختلف عن ظاهره، الامر الذي يجعل المؤرخ متحرزا في كيفية النظر الى النص، وقد يكون النص ادبيا، إذ يستعمل لغة مجازية تجعل المعنى متعدد الدلالات، إذ يكثر من التشبيهات والاستعارات.

ولذلك فليست هناك قراءة خاطئة وانما هناك قراءة ممكنة وقراءة متعذرة، الامر الذي يجعل تعدد القراءات وتباينها أمرا محمودا ومستحبا، إن القراءة المهمة ـ بحسب علي حرب ـ " ليست هي التي تقول لنا ما أراد النص قوله، وإنما تكشف عما يسكت عنه النص

---

[١] علي حرب قراءة ما لم يقرأ، نقد القراءة، مجلة الفكر العربي المعاصر، كانون الثاني، شباط، ١٩٨٩م، ص ٤٦.

[٢] عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٧م، ص ٢٠٨ .

او يستبعده او يتناساه "[1] ويمكننا القول : غير اننا نلتقي بقراءة (متعذرة) تجعل ناتج القراءة الغاية والمعيار، بحيث تلغي القراءات المختلفة، وتجعل ذاتها البديل.

إن القراءة ليست فعلا فيزيولوجيا يتأتى بإحداث الوحدات الصوتية عبر النطق بحسب ما تقتضيه الأنظمة اللغوية لأي لغة، وإنما القراءة، سواء أكانت قراءة للعالم بوصفه وجودا يقع خارج الذات الانسانية، أو نصا بوصفه تشكيلا لغويا تعني الفهم، ومن ثم فإنها تمثل نشاطا معرفيا ذهنيا يختلف ويتفاوت بحسب رؤية القارئ وبحسب طبيعة النظر إلى العالم والنص، والزاوية التي يتم الصدور عنها.

إن القراءة في ضوء هذا الفهم مولدة للمعاني وكاشفة للصور التي يتضمنها العالم والنص، ومن ثم فإنها ـ بحسب علي حرب ـ « تعيد انتاج المقروء» فكأن المقروء ـ عالما أو نصا ـ موجود، ويصبح بعد القراءة موجودا آخر، لأن القراءة ليست نقلا للمقروء، أو احضارا

---

[1] علي حرب، نقد النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، د.ت، ص ٢٠ .

له، إذ يضفي القارئ على المقروء رؤيته، وذاته، وخصوصيته، ويتولد من العلاقة بينهما مركب جديد، ليس هو المقروء تماما، وليس هو القارئ بما هو عليه، وإنما هو مركب منهما معا بكيفية خاصة، ولذلك تتفاوت القراءات لاختلاف القراء، وكأن المقروء ثابت قبل القراءة، وتتغير صورته ومعانيه ودلالاته بفعل عملية القراءة التي ترتبط بخصوصية القارئ ورؤيته." إذ لا تطابق بين قارئ ومقروء ،لان كل قراءة في النص تقرأ ما لم يقرأ "[1]

ويمكن القول تجاوزا أن النص قبل القراءة يعرف استقرارا نسبيا في دلالته ومعانيه، ولكنه ـ في الحقيقة ـ استقرار متوهم، إذ لا وجود حقيقي للنص إلا في أثناء قراءته، نعم هناك وجود موضوعي فيزيفي للنص خارج الذات الانسانية ـ متمثلا في الكتب ـ التي أنتجته، أو تقرأه، ولكنه وجود هامد، ولكن وجوده الفعلي يتحقق عبر قراءته." فالقراءات تختلف وتتفاوت من حيث علاقتها

---

[1] علي حرب، هكذا اقرأ ما بعد التفكيك، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د. ت، ص ٢٥ .

بموضوعاتها وبالمواد التي تعمل عليها، قد تكون شرحا لنص او تفسيرا له، وقد تتعدى التفسير والشرح لكي تكون تأويلا وصرفا لم يحتمله الكلام من المعاني والدلالات. "[1]

وليست هناك قراءة صحيحة وقراءة خاطئة وإنما هناك قراءة ممكنة يحتمل النص دلالاتها ويعكس القارئ رؤيته ومواقفه من عبرها، وهناك قراءة غير ممكنة، لعدم احتمال النص دلالتها، وهي التي اطلق عليها علي حرب القراءة الميتة، وهي " نوع من اللغو والهذر والثرثرة ... وهي تختلف عن القراءة الحية، وهي قراءة ممكنة وفاعلة ومنتجة " [2].

ان قراءة النص بمعنى فهمه تتضمن الابعاد الآنية :

- **الفهم** المباشر دون حاجة إلى تفسير أوتأويل.

- **التفسير** إذ حين يستعصي الفهم المباشر نشأت الحاجة إلى الانتقال إلى فهم آخر يقتضيه السياق وقرائن اللغة، فإن كلمة الوحي حين ترد دون سياق أو قرينة لغوية لها

---

[1] هكذا اقرأ ما بعد التفكيك، ص ٢٨ .

[2] علي حرب، نقد النص، ص ٢٠.

دلالة تختلف عن معناها في قوله تعالى: " وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنْ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنْ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ "[1].

ـ **التأويل** ، وهو مرحلة متقدمة في الفهم النص ، تعني إخراج اللفظ من معناه الحقيقي الذي يدل عليه الفهم المباشر، او سياقاته، إلى معناه المجازي. ولذلك فإن التفسير" بيان وضع اللفظ حقيقة كتفسير الصراط بالطريق والتأويل إظهار باطن اللفظ ... فالتأويل خاص و التفسير عام فكل تأويل تفسير وليس كل تفسير تأويلا".[2]

وتتركب عملية القراءة من ثلاثة مكونات: القارئ، والمقروء، وناتج القراءة، وقد يوحي ترتيب هذه الأبعاد أولية القارئ، بمعنى فاعليته، وانفعالية النص، بحيث تكون القراءة مجرد نتيجة لعملية ميكانيكية . تتماثل فيها النتائج والمقدمات، وليس هذا صحيحا في الواقع،

---

[1] سورة النحل، آية، ٦٨.

[2] ابن الاثير ، المثل السائر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ١٩٣٩م ،١ / ٤٩ ـ ٥٠.

لأن هناك جدلا بين القارئ والمقروء، يتولد من تفاعلهما المحتدم وتصارعهما بفعل العلاقات المتشابكة والمعقدة والمتداخلة، ناتج القراءة، ويشتمل كل من عنصري عملية القراءة " القارئ/ المقروء" على خصائص تميزه، وإن أغفال هذه الخصوصية وأدراك أهميتها يقود بالضرورة الى فهم سلبي لعملية القراءة والنتائج المتولدة منها ، بمعنى أن إغفال هذه الخصوصية أو التهوين من قيمتها وأهميتها، يعني هيمنة أحد طرفي عملية القراءة، فإما أن تكون الذات فاعلة إزاء موضوعها، بحيث تلغي المقروء، أو تقرأه خارج دلالاته وسياقاته، أو أن يهيمن المقروء على القارئ، فيتحول الى مجرد ناقل، وكلا الأمرين يعني ناتجا سلبيا، يلغي أحد طرفي المعادلة، ويقدم قراءة أقل ما يقال عنها أنها قراءة سلبية.

وقد تكون القراءة السلبية ذاتية تتخذ من التراث وسيلة دفاعية يؤكد فيها القارئ ذاته، بحيث يستعيد المعايير التراثية ويضخم من جوانبها الايجابية، ويحاول اسقاطها على الحاضر والمستقبل، والهدف من ذلك الاحتماء بالتراث في مواجهة تيارات معاصرة، وعلى الرغم من سلبية هذه القراءة فإنها في الوقت نفسه يمكن

أن تسهم في بداية لقراءة نقدية واعية، لأنها تستبعد الجوانب السلبية في عصور الانحطاط، والأهم من هذا أنها تحذر من الانسياق وراء القراءة الشكلية والسقوط في الانجازات المستوردة، غير أن التوقف عند هذه الغاية لن يحقق جديدا، لأن التراث يمارس سلطته على الحاضر والمستقبل، وهذا ما حصل فعلا في القراءة النهضوية في اواخر القرن التاسع عشر التي هيمنت فيها الأصول القديمة على الرؤى المعاصرة، وأصبحت غاية مقصودة لذاتها.

ولا تختلف القراءة الذاتية النرجسية عن هذه القراءة السلبية، إذ تمثل هذه القراءة قطيعة معرفية مع التراث، إذ يعتمد المفكر على أصول معرفية مستوردة ليست من صنع حاضره، أو من تراثه، وبذلك يستبدل حاضره وماضيه بحاضر نقدي للآخر. ولقد دعا علي حرب الى ضرورة " التحرر من القراءة الأيديولوجية السائدة بأشكالها الأربعة : التبجيلية والعدائية والاسقاطية والتبسيطية "[١]

[١] علي حرب، هكذا اقرأ ما بعد التفكيك، ٣٩.

ويمكن تبني قراءة تتفاعل فيها الذات بموضوعها، إذ يدرك المفكر ان لتراثه حضورا قديما محددا بسياقاته التاريخية والاجتماعية والمعرفية، وحضورا معاصرا خاصا بزمن القراءة الحالية وملتحم برؤية القارئ المعاصر وثقافته، ويتأسس على الوصل والفصل، إذ يجعل " المقروء معاصراً لنفسه على صعيد الإشكالية والمحتوى المعرفي والمضمون الأيديولوجي، ويجعل المقروء معاصراً لنا، ولكن فقط على صعيد الفهم والمعقولية " [1]

[1] محمد عابد الجابري، نحن والتراث، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء ،د. ت، ص 16.

٢

لا شك أن هناك فرقًا واضحًا بين الوقائع التاريخية والحقائق العلمية، إذ تتسم الوقائع التاريخية بارتباطها بأحداث فريدة ومحددة بزمن ومكان معينين، ولها سياقها التاريخي، كما انها تحدث مرة واحدة ولا تتكرر للأبد [١]، ويولي المؤرخون أهمية كبيرة للزمن الذي تحدث فيه هذه الوقائع، لأن الزمن ـ كما يبين عبد الرحمن بدوي ـ " يتجه للأمام دون تراجع او تخلف او تكرار "[٢]، أما الحقائق العلمية، فتتميز بأنها لا ترتبط بالزمن، بل تعتمد على تجارب وقوانين يمكن إعادة اختبارها مرارًا وتكرارًا، لذا فإن عمل العالم يختلف جوهريًا عن عمل المؤرخ؛ فالعالم يستطيع إعادة التجربة العلمية ومراقبتها مرات متعددة، مثل غليان الماء عند درجة ١٠٠ مئوية على مستوى سطح البحر، ويحاول المؤرخ "

---

[١] ينظر: عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٧م، ص ١٨٣.

[٢] نفسه .

ان يستعيد في الذهن وبطريقة عقلية صرفة ما جرت عليه أحداث التاريخ في مجرى الزمان".[١]

إن التاريخ يختلف عن العلوم الفيزيائية، كما يعبّر عن ذلك هرنشو في قوله " إن التاريخ ليس علم مشاهدة وتجربة، بل هو علم نقد وتحليل"،[٢] ولا يمكن معرفة الوقائع التاريخية إلا " بطريقتين، اما مباشرة اذا لوحظت وهي تحدث، او بطريق غير مباشر بدراسة الآثار التي تركتها "[٣]، وفي حالة ملاحظتها وهي تحدث فإنها لا تحصل إلا في حالات نادرة، واذا حصلت فإن الإحاطة بجوانبها المتعددة ليست كاملة، بسبب اختلاف خصوصية الانسان ومناخه السياسي والاجتماعي

---

[١] عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، ص ١٨٣ .

[٢] هرنشو، علم التاريخ، ترجمة عبد الحميد العبادي، سلسلة المعارف مصر، ١٩٤٤م، ص ١١ .

[٣٣] لانجلو اوسينوبوس، المدخل الى الدراسات التاريخية، ضمن كتاب، عبد الرحمن بدوي، النقد التاريخي، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٨١م، ص ٤٣ .

والايديولوجي[1]، ويطلق على الاثار التي تركتها الحادثة اسم الوثائق.[2]

وتعد الوثائق التاريخية أساس علم التاريخ، فالتاريخ " يصنع من وثائق وهي الآثار التي خلفها أفكار السلف وافعالهم، وكل فكرة او فعل لا يخلف اثرا مباشرا او غير مباشر، او طمست معالمه هو أمر ضاع على التاريخ كأنه لم يكن البتة ... وحيث لا وثائق لا تاريخ"[3]

والوثائق على نوعين : النوع الأول : وثائق عادية تعرف بالحواس، كالآثار والاشياء المصنوعة، تماثيل وبيوت ونقوش وعملات معدنية، والنوع الثاني : ،

---

[1] يقول هرنشو " ليس من الميسور ان تعاين وقائع التاريخ معاينة مباشرة، وان الاختيار والتجربة امران غير ممكنين في الدراسة التاريخية، ص ٢ .

[2] لانجلو اوسينوبوس، المدخل الى الدراسات التاريخية ص ٤٤، ويرى اسد رستم ان " الأصول لدى المؤرخ في جمع الآثار التي تخلفت عن السلف، واذا ضاعت الأصول ضاع التاريخ معها ... ان التاريخ لا قوم الا على الآثار التي خلفتها عقول السلف او أيديهم " مصطلح التاريخ، ص ٥٣ .

[3] لانجلو اوسينوبوس، المدخل الى الدراسات التاريخية، ص٥ .

وهو الغالب، "الآثار الكتابية التي قد تكون وصفا لحادث تاريخي او قد تكون رواية عيانية لهذا الحادث، او قد تكون مجرد روايات عيانية وغير عيانية "[1].

ولا يبذل المؤرخ جهدا كبيرا في معرفة النوع الأول ،كونه اثرا ماديا، إذ يمكن معرفة صحة نسبته التاريخية، فالمعابد والزقورات والاهرامات والعملات والتماثيل يسهل التعامل معها، غير ان النوع الثاني من الوثائق فأمرها صعب، كونها تتصل بالطبيعة الإنسانية ،وهي تشتمل على الروايات والوصف والنصوص الأدبية ونحوها.[2]، ويرى عبد الرحمن بدوي ان هذه الوثائق ترتبط بالإنسان، وهو حر متغير كثير التأثر، يخضع لعوامل عدة، ويتأثر فيها بطرائق مختلطة وعلى أنحاء متعددة، فضلا عن ان لديه دواعي للتحريف او التزييف او الوقوع في الخطأ او مجرد الوهم ."[3]

---

[1] عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، ص ١٨٦، وينظر: لانجلو اوسينوبوس، المدخل الى الدراسات التاريخية، ص ٤٤ .

[2] ينظر : عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، ١٨٦ ـ ١٨٧.

[3] نفسه، ص ١٨٧ .

وعلى الرغم من ان التاريخ الإسلامي قد افاد من قضيتي النقد الخارجي متمثلة بالسند، والنقد الداخلي متمثلة بالمتن، غير ان الرواية الشفوية كانت لها مزالقها الكثيرة، إذ يتفاعل المؤرخ مع الرواية الشفوية التي وصلت اليه بوصفها نصا لغويا، سواء أكانت تقريرا او وصفا او ادبا، فالنص يحاول وصف الواقعة التاريخية التي تتسم بوحدتها وكليتها في اطار سياقها التاريخي الزمان والمكاني، وهذا يعني ان النص يحول المتوحد الى متجزأ، والكلي الى جزئي لأن اللغة تخضع لأبعاد زمانية، وتتسم بخصائص صوتية وصرفية ونحوية ودلالية، وان استعمالها يؤثر في تحديد الواقعة التي يقوم بوصفها، كما" ان اللغات كائنات حية، ومعاني الالفاظ تتغير بتغير الأزمنة والامكنة والاشياء " [1].

اذن هناك مزالق تتصل بالراوي ومزالق تتصل بالمروي، فالراوي انسان تؤثر فيه خصائصه الفردية وقدراته التعبيرية، ويؤثر فيه السياق التاريخي والاجتماعي والايديولوجي، حبا وكرها، ترغيبا وترهيبا،

[1] عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، ٢٠٦ .

ومن الطبيعي ان تؤثر هذه كلها في طبيعة النص، ويرى عبد الرحمن بدوي ان الراوي لا يرى الوقائع على حقيقتها " لوجود معان سابقة في ذهنه، وهذا يشاهد كثيرا في الروايات العيانية عن حادث احد، فنحن نرى انه لو شاهد عشرون شخصا حادثا من الاحداث، وليكن سياسيا، لرأوه بروايات متعددة، تكاد ان تتناقض في اكثر الأحيان "[1].

المصادر والمراجع :

ابن الاثير ، المثل السائر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ١٩٣٩م.

ابن منظور، لسان العرب، دار صادر– بيروت، الطبعة الثالثة، 1994م.

اسد رستم ، مصطلح التاريخ ، مركز تراث ، القاهرة ، ٢٠١٥م .

[1] عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، ٢١٣ .

جابر عصفور، قراءة التراث النقدي، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٧م.

علي حرب قراءة ما لم يقرأ، نقد القراءة، مجلة الفكر العربي المعاصر، كانون الثاني، شباط، ١٩٨٩م.

علي حرب، نقد النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، د.ت.

علي حرب، هكذا اقرأ ما بعد التفكيك، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د. ت .

. لانجلو اوسينوبوس، المدخل الى الدراسات التاريخية، ضمن كتاب، عبد الرحمن بدوي، النقد التاريخي، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٨١م.

محمد عابد الجابري، نحن والتراث، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء ، د. ت.

هرنشو، علم التاريخ، ترجمة عبد الحميد العبادي، سلسلة المعارف مصر، ١٩٤٤م.

لاميةُ أبي طالب دراسة
إحصائية توثيقية

أ.د.المتمرس عبداللطيف حمودي الطائي
جامعة الكوت

المقدمة : قبل الدخول في موضوع لامية أبي طالب (عليه السلام) لابدَّ من معرفة شاعرها أولًا، وعبرهُ سنقف على القصيدة التي أثارت كثيرًا من الجدال واللغط والقال والقيل حول صحة نسبتها لأبي طالب، والقصيدة تداخلها النحل والانتحال والوضع، ولكي أضع القارئ الكريم أمام الحقيقة لكي يعرف بنفسه لمن القصيدة ومن هو قائلها، هل هي لأبي طالب؟ أم أنَّها منحولة؟ أم هي له ولكن أضاف عليها الرواة أبياتًا موضوعة؟ وكذلك إبعاد الشك الشُّبهات عن شاعرها، ليأخذ القارئ الكريم القصيدة وهو مطمئن الى صحتها، وذلك عبر دراسة القصيدة وتوثيقها من قبل كبار رواة الشعر العربي مع ذكر المصادر التي روت اللامية أو روت أجزاءٍ منها، ومعرفة ما أحيط بها وأسباب ذلك، مع شرح وتوضيح للكلمات الصعبة والغامضة التي استغلق فهما من بعض القراء التي جاءت في اللامية.

شخصية الشاعر: هو أبو طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي شيخ البطحاء وابن سيدها، وزعيم قريش وقاضيها، ورئيس بني هاشم، ونسبه الشريف الكريم ينتهي الى النبي ابراهيم الخليل (عليه السلام) فهو عبد

مناف بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن نزار بن معد بن عدنان[١]، وقيل اسمه عمران وهي رواية ضعيفة [٢]، والصواب هو عبد مناف كما جاء في أرجوزة الوصية لعبدالمطلب حين وصى ولده أبا طالب بحفيده محمد (صلى الله عليه واله وسلم) في قوله[٣]:

أوصيك يا عبد مناف بعدي
بموحد بعد أبيه فـــــــرد
فارقه وهو ضجيع المهـــد
فكنت كالأم له في الوجــد

وقد أكد الاسم عبدالمطلب في أرجوزة أخرى حين قال[٤]:

أوصيت مـن كنيته بطالب

---

[١] – السيرة النبوية لابن هشام : ١/١–٢، طبقات ابن سعد : ١ /٢

[٢] – عمدة الطالب :٢٠، المناقب لان شهر اشوب : ٣/ ٢٨٨ ،

[٣] – السير والمغازي : ٦٩

[٤] – المصدر السابق : ٦٩–٧٠

عبد مناف وهو ذو تجـارب
بابن الذي قد غاب غير آيب
بابن أخ والنسوة الحبايــب
بابن الحبيب اقرب الأقارب

وقد أكد ابو طالب نسبه الشريف الذي ينتهي الى النبي ابراهيم الخليل وابنه اسماعيل الذبيح (عليهما السلام) في خطبته عندما تقدم بها لطلب السيدة خديجة (عليها السلام) من خالها ورقة بن نوفل فقال[١]: (الحمد لله الذي جعلنا من زرع إبراهيم، وذرية إسماعيل)، كان يكنّى بأبي طالب، ويلقّب بشيخ الأباطح[٢]، وهو شيخ مكة وسيد بني هاشم في زمانه [٣]، كان سيّدا شريفًا مطاعًا مهيبًا [٤]، كان منيعًا عزيزًا في قريش[٥]، ولن يسود أحد من قريش إلا بمال أبي طالب[٦]، كان من أجواد

---

[١] – تاريخ اليعقوبي : ٢ / ١١١
[٢] – عمدة الطالب : ٢٣
[٣] – تاريخ الطبري : ٥/ ١٤٩
[٤] – تاريخ اليعقوبي : ٢ / ١٤
[٥] – أنساب الأشراف : ٢ / ٣٢
[٦] – شرح نهج البلاغة : ١/ ٢٩، ١٥/ ٢١٩

قريش، إذ كانت قريش كلَّها تُطعم في يوم، وأبو طالب وحدَّهُ يطعم في يوم، ولم يطعِمْ يومئذٍ أحد غيره[1] .

مولده وحياته الاجتماعية : ولد أبو طالب قبل المولد النبوي الشريف بخمس وثلاثين سنة، ويؤكد صحة ذلك تاريخ وفاته في السنة العاشرة من البعثة النبوية الشريفة، إذ كان عمره الشريف بضع وثمانين سنة[2]، تزعمَ أبو طالب بني هاشم خاصة وقريش عامة، بعد وفاة عبدالمطلب، وكان شيخهم والمطاع فيهم[3]، إذ كانت قريش تسميه الشيخ[4]، وكانت العرب قبل الإسلام لا تسودُ أحداً عليها إلا بمالٍ، إلا أبا طالب فقد ساد أتباعه بأخلاق أبيه عبدالمطلب وكان كاملًا [5]، وأبو طالب ممن حرم معاقرة الخمرة على نفسه في الجاهلية مثل أبيه

---

[1] – أنساب الأشراف : ٢ / ٢٨٨

[2] – أنساب الأشراف : ٣٢/٢، شرح نهج البلاغة : ١٥/ ٢١٩

[3] – طبقات ابن سعد : /ق٧٩/١، كتاب الحجة : ٩٥، الإصابة : ١١٨/٤

[4] – شرح نهج البلاغة : ١١٦/١١

[5] – شرح نهج البلاغة : ٢٩/١

عبدالمطلب[1] قبل أنْ يحرمها الإسلام، وهو أحد حكام قريش الثلاثة قبل الإسلام، وهم كُلٍّ من : عبدالمطلب ابن هاشم، وأبو طالب بن عبدالمطلب، والعاص بن وائل [2]، وأبو طالب هو أول من سن القسامة [3] قبل الإسلام وأثبتها النبي (صلى الله عليه واله وسلم) في الإسلام [4]، وورث أبو طالب عن أبيه عبدالمطلب السقاية، ولما تقدم به العمر، وشغلته الدعوة الإسلامية، وحماية الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) سلم السقاية إلى أخيه العباس بن عبدالمطلب[5]، كان أبو طالب يعمل في

---

[1] – السيرة الحلبية : ١/ ١٣٤، السيرة الدحلانية : ١ / ٧٩

[2] – المنمق : ٤٦

[3] – القسامة : جاهلية أقرها الإسلام، والقسامة تعني جريمةُ قتلٍ لم تثبت على المتهم معين بالقتل، ولكن كل الشكوك تحوم حوله، لذلك قال عمر بن الخطاب : القسامة توجب العقل، أي توجب الدية لا القود، والقود يعني قتل القاتل، اللسان مادة : قسم .

[4] – صحيح مسلم – باب القسامة – رقم الحديث : ١٦٦٩

[5] – شرح نهج البلاغة : ١٥ / ٢١٩

التجارة، في تجارة العطور والحبوب[١]، وتزوج ابنة عمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي[٢]، وهو أول هاشمي يتزوج هاشمية وأنجبت له من البنين أربعة وهم على التوالي[٣]: طالب وبه يكنى وعقيل وجعفر وعلي، وكان بين كل واحد منهم وأخيه عشر سنين[٤]، ومن البنات : أم هاني واسمها فاخته، تزوجها هُبيرة بن أبي وهب المخزومي [٥]، وجمانة تزوجها أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب[٦]، وريطة تكنى أم طالب[٧]، وأسماء[٨]، أما من الناحية الخلقية فقد كان أبو طالب

---

[١] – المعارف : ١١٩

[٢] – الدر النظيم في مناقب الأئمة اللهاميم : ٢٥

[٣] – نسب قريش : ٣٩

[٤] – عمدة الطالب : ٣٠

[٥] – الإصابة : ٤ / ٤٧٩، الاستيعاب : ٤ / ٤٧٩

[٦] – الإصابة : ٤/ ٢٥٢، الاستيعاب : ٤/ ٢٥٩، نسب قريش : ٤٠

[٧] – الإصابة : ٣٠٣/٤

[٨] – طبقات ابن سعد : ١/ق١ / ٧٧

أعرجًا، وعده الجاحظ من العُرج الأشراف[1]، وقد أكد ذلك أبو طالب بعد أن عيرتهُ إحدى نسائهِ بذلك فقال[2]:

قالت عرجت فقد عرجت فما الذي
أنكرت من جلدي وحسن فعالي
وأنا أبن بجدتها وفي صيابهـا
وسليل كل مسود مفضـال[3]
أدع الرقاحة لا أريد نماءهـا
كيما أفيد رغائب الأمـوال[4]
وأكف سمهي عن وجوهٍ جمـةٍ
حتى يصيب مقاتل البخـال

مكانته الأدبية : يعدُّ أبو طالب من كبار خُطباء مكة المكرمة وشعرائها الأفذاذ، فمن خطبه التي حفظها

---

[1] – البرصان والعرجان : ١٣

[2] – ديوانه : ١٠٥

[3] – ابن بجدتها : العالم بالشيء، المتقن له، المميز له، الصياب : الخيار والصحيح من كُلِّ شيء .

[4] – الرقاحة : التكسب بالتجارة، الرغائب : جمع رغيبة وهي العطاء الكثير .

التاريخ، خطبتان رائعتان في الأملاك، الأولى قالها حينما خطب السيدة فاطمة بنت أسد لنفسه فقال[1]: (الحمدُ لله رب البيت العظيم، والمقام الكريم، والمشعر والحطيم، الذي اصطفانا أعلاما وسادة وعربًا خُلَّصًا، وحجبة وبهاليل أطهار من الخنا والريب والأذى والعيب، وأقام لنا المشاعر أطهارًا، وفضّلنا على العشائر، نجبة آل إبراهيم وصفوته زرع إسماعيل، ثم قال : معاشر قريش، أنّني ممن طاب محتده، وطهر مقعده، وعرف مولده، وعزت جرثومه، وطابت ارومته، ذؤابة الذوائب، وسيد الأعارب، وقد تزوجت فاطمة بنت أسد، وسقت إليها المهر، وثبت الأمر، فيلوه وأشهدوا، فقال أسد : أنت أبا طالب بحيث المنصب الذي ذكرت، والفضل الذي وصفت، وقد زوجناك ورضيناك، ثُمَّ زفت إليه).

فقال الشاعر أمية بن أبي الصلت بمناسبة زواج أبي طالب [2]:

---

[1] – الدر النظيم : في مناقب الأئمة اللهاميم : ٢٥

[2] – الأنوار العلوية : ٢٨ – ٢٩، القطعة أخلت بها رواية الديوان.

أغمرنا عُرس أبي طالب

وكان عرسًا لين الجانبِ

إقراؤهُ الضيف بأقطارها

من رجلٍ خَّ ومن راكبِ

فنازلوه سبعة أحصيت

أيامها للرجلِ الحاسبِ

وأما الخطبة الثانية فقد خطبها حينما خطب السيدة خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) الى رسول الله محمد (صلى الله عليه واله وسلم) من خالها ورقة بن نوفل فقال [1] : (الحمدُ لله الذي جعلنا من زرع إبراهيم، وذرية إسماعيل، وجعل لنا بلدًا حرامًا، وبيتًا ممجوجًا، وجعلنا الحكامَ على الناس، ثم ابن أخي من لا يوازن به فتى من قريش ألا رجح عليه، برًّا وفضلًا وكرمًا وعقلًا ومجدًا ونبلًا، وإن كان في المال قل، فإنَّما المال ظل زائل، وعارية مسترجعة، وله في خديجة بنت خويلد

[1] – السيرة الحلبية : ١ / ١٣١، صبح الأعشى : ١ / ٢١٣

رغبة، ولها فيه مثل ذلك، وما أحببتم من الصداق فعلي).

نلحظ في هاتين الخطبتين أنَّ أبا طالب هو : أول من أستفتح خطبه بكلمة (الحمد لله) وجاء الإسلام فأقرَّها، أمّا من ناحية قوله الشعر، فأبو طالب يعدُّ من كبار شعراء مكة إذ جعله محمد بن سلام الجمحي ثاني طبقة شعراء مكة المكوَّنة من تسعة شعراء، وقد علق محمد بن سلام الجُمحي قائلا[1]: (أبو طالب شاعرًا، كان أبو طالب شاعرا جيّد الكلام، أبرع ما قال قصيدته التي مدح فيها النبي (صلى الله عليه واله وسلم) :

وأبيضُ يُستسقى الغمام بوجهه
ربيع اليتامى عصمة للأرامل

ولم يذكر ابن سلام لأبي طالب في طبقاته غير هذا البيت، وهو الذي جعله ثاني طبقة شعراء مكة في

[1] – طبقات فحول الشعراء : ١ / ٢٣٣

حين ذكر لغيره من الشعراء كثيرًا، وهم أدنى منه درجة حسب معاييره .

ولأبي طالب ديوان شعر صنعه أكثر من عالم وراوية ولكن الذي وصل إلينا مخطوطًا هو روايتين هي كما يأتي :

أولا : ديوان أبي طالب بن عبدالمطلب : صنعة أبي هفان ابن أحمد المهزمي البصري (ت ٢٥٧ هـ) وحُقق الديوان على هذه الرواية مرتين، الأول حققها العلامة السيد محمد صادق آل بحر العلوم لحساب المكتبة المرتضوية وطبع في المطبعة الحيدرية في النجف ألاشرف في سنة ١٣٥٦هـ[١]، وأعاد تحقيقه الشيخ محمد حسن آل ياسين في بغداد في سنة ١٩٩٢م – ١٤١٣هـ[٢].

ثانيا : ديوان أبي طالب بن عبدالمطلب : صنعة علي ابن حمزة البصري التميمي (ت ٣٧٥ هـ) وحققه الشيخ

---

[١] – ديوانه برواية ابي هفان بتحقيق العلامة السيد محمد صادق بحر العلوم .

[٢] – ديوانه برواية ابي هفان بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين.

محمد حسن آل ياسين في بغداد في سنة ١٩٩٤ م – ١٤١٥هـ [١].

وفاته : تُوفي أبو طالب بعد خروجه من الشِّعب بثمانيةٍ وعشرين يومًا، في السنة العاشرة من البعثة النبوية الشريفة [٢]، وكانت وفاته في النصف من شوال [٣]، وذلك بعد وفاة السيدة خديجة (رضي الله عنها) بخمسةٍ وثلاثين يوما [٤]، فقال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) [٥]: (ما نالت مني قريش شيئًا أكرهه حتى مات أبو طالب)، وكانت وفاة أبي طالب قبل أنْ تفرض صلاة الجنازة في الإسلام [٦]، وقال ابن أبي الحديد [٧]: (إنَّهُ لما توفي أبو

---

[١] – ديوانه برواية علي بن حمزة البصري بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين .

[٢] – السيرة النبوية لابن هشام : ٢ /٥٧، تاريخ الطبري : ٢ / ٣٤٣، الإصابة : ٤/ ١١٨

[٣] – السيرة النبوية لابن هشام : ٢ /٥٧

[٤] – طبقات ابن سعد : ١ / ق ١ / ٧٩

[٥] – شرح نهج البلاغة : ١٤ / ٦١

[٦] – شرح نهج البلاغة : ١ / ٢٩

[٧] – شرح نهج البلاغة : ١٤ / ٦١، كتاب الحجة : ٦٧ – ٦٨

طالب أوحى الله إلى رسوله محمد (صلى الله عليه واله وسلم) أخرج منها فقد مات ناصرك).

حينما حضرت الوفاة أبا طالب، استدعى أولاده، وبني هاشم، وبني عمومته وأمرهم باتباع سُنَّة رسول الله وسيرته، وألّا يخالفوه ثم دعا رسول الله، وعلي بن أبي طالب وضمَّهما إلى صدره وقبلهما وقال : يعزُّ عليَ فراقكما فمن لكما بعدي، ثم التفت إلى جعفر وعقيل وأخوته وبني عمومته وقال: استودعكم الله، والله خليفتي عليكم، ثم غمض عينيه، وأطبق فاه، ومدَّ يديه ورجليه، ورسول الله واقف عند رأسه يقول: رفقا يا ملائكة ربي، فقام النبي يغسله، وعلي يصب الماء عليه، ثم أدرجوه في أكفانه بعد أنْ أهدي إليه السدر والكافور من الجنة، وحزن عليه رسول الله، وأولاد عبدالمطلب، وبنو هاشم، وبنو عبد مناف، وجميع أهل مكة، ولما فرغ النبي من تغسيله وتكفينه، أنزله في لحده ولقنه وهو يبكي ويقول : وا أبتاه، وا أبا طالباه، وا حزناه عليك يا عماه، آهٍ آهٍ بعدك يا عماه، كيف أسلو عنك يا من ربيتني صغيرًا، وأحببتني كبيرًا، وكنت عندك بمنزلة العين من الحدقة، والروح من الجسد، ثم أهالوا التراب عليه، وجاءوا نحو

العزاء، وعزاه الناس عليه [1]، وفي رواية أخرى، لما مات ابو طالب جاء ابنه الإمام علي (عليه السلام) الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأخبره بموته، فتوجع عظيما، وحزن حزنا شديدا، ثم قال[2]: (أمضِ فتولَّ غُسله، فإذا رفعته على سريره، فاعلمني) ففعل فاعترضه وهو محمولٌ، فقال له: (وصلتك رحمٌ يا عمِّ ! وجزيت خيرًا، فقد ربيت وكفلت صغيرًا، ونصرت وآزرت كبيرًا، ثم تبعه الى حفرته، فوقف عليه فقال : أمَ والله لأستغفرن لك ولأشفعن فيك شفاعة يعجبُ لها الثقلان)، ودفن في مكة المكرمة في مقبرة الحجون [3] .

قال أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب يرثي أباه [4]:

أرقتُ لنوحٍ آخر الليل غـــردا

بشيخي ينعى والشريف المُسودا

---

[1] – مواهب الواهب : ١٣٩

[2] – ديوانه برواية أبي هفان : ٣٢

[3] – انساب الأشراف : ١ / ٢٩

[4] – ديوانه : ٩٠ – ٩١

أبا طالب مأوى الصعاليك ذا الندى

وذا الحلم لا خلفا ولم يكُ قعـددا

أخا الملك خلى ثلمة ستســدها

بنو هاشم أو يستباح فيهمـدا

فأمست قريش يفرحون لفقــده

ولست أرى حيّا لشيء مخلـدا

أرادت أمورا زينتها حلومهــم

ستوردهم يومًا من الغي موردا

يرجون تكذيب النبيّ وقتلـــه

وأن يفتروا بُهتا عليه ومجحـدا

كذبتم – وبيتِ الله– حتى نذيقكـم

صدور العوالي والصفيح المهندا

ويظهر منا منظرٌ ذو كريهــة

إذا ما تسربلنا الحديد المسـردا

فإمّا تبيدونا وإما نبيدكـــم

وإما تروا سلم العشيرة أرشـدا

وإلا فإن الحي دون محمـــد

بنو هاشـم خير البرية محتـدا

ورثاه في قصيدة أخرى حين قال [1] :

أبا طالب عصمة المستجير

وغيث المحول ونور الظلم

لقد هد فقدك أهل الحفاظ

فصلى عليك ولي النعـــم

ولقاك ربك رضوانــه

فقد كنت للمصطفى خير عم

ورثاه أحد أولاد عبدالمطلب قائلا [2] :

وصي أبي والحامل الثقل بعده

وفي كنف منه يكون محمـد

أبا طالب عم النبي الذي لــه

على كل خلق الله فضل وسؤدد

لقد عاش محمودا على كل فعله

ومات فقيدا مثله ليس يوجـد

---

[1] – ديوانه : ٩٣

[2] – ديوانه برواية علي بن حمزة البصري : ١٧٦

على إن من أبقى عليا وجعفرا
وصنويهما فهو السعيد المخلد
ومن عزي العباس فينا وحمزة
عليه تلقاه من الله أســـعد

لامية أبي طالب : لامية أبي طالب قصيدة مشهورة، ويتذاكرها الناس في محافلهم ومجالسهم الخاصة والعامة، وذلك لكونها وثيقة مهمة وثقت اهم مرحلة مرَّ بها الإسلام، ومن ناحية أخرى لقيمتها الفنية والأدبية، ففي أحد منتديات الشعر في البصرة أنشدت هذه القصيدة وكان ممن حضر هذا المجلس الناقد محمد بن سلام الجمحي صاحب كتاب طبقات فحول الشعراء، وكذلك حضر في هذا المحفل الناقد عبدالملك ابن قُريب المشهور بالأصمعي نسبةً لجدّهِ أصمع بن علي، فسأل الأصمعي ابن سلام عن صحة هذه القصيدة ونسبتها لأبي طالب، فأجاب محمد ابن سلام قائلًا[1]: (انَّها صحيحة النسبة لأبي طالب، وقد رآها مكتوبة في كتاب

[1] – طبقات فحول الشعراء : ١ / ٢٤٥

يوسف بن سعد قبل أكثر من مئة عام، وهي تربو على المئة بيت، ولكنَّ الناس أضافوا عليها مما جعل معرفة منتهاها صعب، عند ذلك سأله الأصمعي : أتعرف نهايتها؟ قال : لا، ولكنها صحيحة وجيدة) هذه شهادةُ شاهد من أهلها، على الرغم من أنَّ أبا طالب (عليه السلام) كان يعدّ بني جُمح قوم ابن سلام أبناء إماءٍ وعبيدٍ لقيس بن عاقل في قوله[1]:

بني أُمَةٍ محْبوكةٍ هندكيةٍ
بني جُمْحٍ عُبَدًا لقيس بن عاقلِ

ومع ذلك لم يستطع ابن سلام نفيها عن أبي طالب (عليه السلام) فأقرها له، والقصيدة في ديوانه المحقق بتحقيق أبي هفان تتكون من خمسة عشر بيتًا ومئة[2] .

ومن رواة لامية أبي طالب عليه السلام الراوية المعروف والناقد المشهور أبي عبيدة معمر بن المثنى

---

[1] – ديوانه : ٩٢

[2] – ديوانه : ٨٥ – ٩٤

التيمي (ت٢١٠هـ) أكد أنَّ اللامية لأبي طالب وذلك عبر روايته للبيت السادس من القصيدة، فقد رواه كما يأتي[١]:

١٦- أعوذُ بربِّ النّاسِ من كُلِّ طاعنٍ
علينا بسوءٍ أو مُحقٍّ لباطِلِ

أكد الإمام أبو عبدالله جعفر الصادق (عليه السلام) أنَّهُ[٢]: (كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يعجبه أن يروي شعر أبي طالب (عليه السلم) وأن يدوَّن، وقال : تعلموه وعلموه أولادكم، فإنه على دين الله، وفيه علمٌ كثير) .

ومن الرواة اللامية السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق، فقد ذكر ذلك ابن أبي شيبة في مصنفه[٣]، كما كان البخاري من رواة اللامية وقد رواها بروايتين الأولى كانت عن طريق عبدالله بن عمر، والثانية عن طريق

---

[١] - ديوانه : ٨٦

[٢] - كتاب الحجة : ٢٥، بحار الأنوار : ٣٥ / ١١٥

[٣] - ينظر مصنف ابن أبي شيبة

عبدالله بن دينار[1] ووصف اللامية فقال:(قصيدة جليلة بليغة من البحر الطويل وعدد أبياتها مئة وعشرة .

قال ابن كثير[2]: (هي قصيدة بليغة جدا لا يستطيع أن يقولها إلا من نُسبت إليه، وهي أفحل من المعلقات السبع، وأبلغ في تأدية المعنى)، وقد أيد صحة هذه الرواية الشيخ محمد بن صالح بن محمد العثمين نقلا عن ابن كثير .

كما روى السهيلي أجزاءً من اللامية وشرحها في الروض الأنف[3].

روى القصيدة العيني في عمدة القارئ، وقال عنها [4]: (قصيدة طنانة وهي مئة بيت وعشرة أولها :

خليليَّ ما آذني لأوَّل عاذلٍ

بصغواء في حقّ ولا عند باطلٍ).

روى اللامية القسطلاني أحمد بن محمد (ت٩٩٣هـ) في كتابه ارشاد الساري لشرح صحيح

---

[1] – المصدر السابق نفسه

[2] – البداية والنهاية : ٣ / ٥٣ – ٥٧

[3] – ينظر الروض الأنف للسهيلي : ١٠ / ٢ – ١٦

[4] – ينظر عمدة القارئ للعيني

البخاري، فقد قال إنَّ سبب قول اللامية هو[1]: (لما تمالأت قريش على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ونَفَروا من يريد الإسلام).

انتخب عبدالقادر البغدادي الامية واختارها وشرحها في كتابه خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب[2].

في هذا البحث سأدرس القصيدة، دراسة توثيقية عبر رواتها والمصادر التي روت القصيدة أو استشهدت بأبيات منها وقسمتها على سبعة محاور، وقبل الدخول في دراسة المحاور لابد من الوقوف على سبب نظم القصيدة وتدوينها كاملة كما رواها علي بن حمزة البصري التميمي، قالها أبو طالب (عليه السلام) في حصار قريش وتكالبها مع حلفائها على بني هاشم عامة ورسول الله خاصة في شعب أبي طالب (عليه السلام)، قال ابن هشام في سيرته نقلا عن ابن اسحق في سيرته بعد أنْ خشي دهم العرب أنْ يركبوه مع قومه [3] فقال : (قصيدته

---

[1] – ينظر ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري : ٢ / ٢٣٨

[2] – خزانة الأدب : ٢ / ٥٦ – ٧٦

[3] – السيرة النبوية لابن هشام : ١ / ٢٨٦ – ٢٩٨

التي تعوذَ فيها بحرم مكة وبمكانه منها، وتودَّ فيها على أشراف قومه، وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في شعره، أنَّهُ غيرُ مُسَلِم رسول الله، ولا تاركه لشيءٍ أبدًا حتّى يهلك دونه) فقال [1]:

١- ولمّا رأيتُ القومَ لا وُدَّ فيهم

وقد قطعوا كُلَّ العُرا والوسائلِ

٢- وقد صارحُونا بالعداوة والأذى

وقد طاوَعوا أمر العدوِّ المُزايلِ

٣- وقد حالفوا قومًا علينا أظِنَّةً

يعضُّون غيظًا خلفَنا بالأناملِ [2]

٤- صَبرْتُ لهم نفسي بصفْراءَ سمحة

وأبيضَ عضْبٍ من سيوفِ المَقاوِلِ [1]

---

[1] - ديوانه : ٨٥ - ٩٤

[2] - الأظنة : جمع ظنين وهو الرجل المُتَّهم

٥- وأحضرتُ عند البيتِ أهلي وأخوتي

وأمسكتُ من أثوابه بالوصائِلِ[٢]

٦- أ عبدَ منافٍ أمنتُمُ خيرُ قومِكم

فلا تشركوا في أمركم كُلَّ واغِلِ[٣]

٧- فقد خفتُ إنْ لمْ يصلحِ اللهُ أمرَكُم

تكونوا كما كانت أحاديثُ وائلِ

٨- لعمري لقد أوهنتُمُ وعجزْتُمُ

جئتُم بأمرٍ مُخطئٍ للمفاصلِ

٩- وكنتُم حديثًا حَطْبَ قِدْرٍ فأنتُم

حِطَابُ قدورٍ جمَّةٍ ومراجِلِ

---

[١] - الصفراء : القوس، المقاول : مفرد الملوك والرؤساء

[٢] - الوصائل : ثياب مخططة يمانية كان البيت يُكسى بها وهي جمع وصيلة .

[٣] - الواغل : المدَّعي نسبًا ليس منه وهو تعريض ببني أمية

١٠- ليهنَ بني عبدالمناف عُقوقُنا

وخذلانُنا وتركُنا في المعاقلِ

١١- فإنْ يكُ قومٌ سرَّهم ما صنعتُم

وتحلبونها لقحةً غير باهلِ

١٢- قيامًا معًا مستقبلين رِتاجهُ

لدى حيثُ يقضي نذرهُ كُلُّ نافلِ [١]

١٣- وحيُ يُنيخُ الأشعرون رِكابهم

بمُفضى البيوتِ بين سافٍ ونائِلِ [٢]

١٤- مُوَسَّمةَ الأعضادِ أو قصراتها

محَيَّسةً بينَ السَّديسِ وبازِلِ [٣]

---

[١] - النافل : من النافلة وهو التطوّع

[٢] - نائل : اسم صنم

[٣] - القَصَرات : جمع قصرة وهي أصل العنق، السديس والبازل من اعمار الإبل، مُحيَسَّة : من الحيس أي خلطَ واتخذَ

١٥- ترى الوَدْعَ فيها والرُّخامَ وزينةً

بأعناقِها معقودةً كالعثاكِل [١]

١٦- أعوذُ بربِّ الناس من كُلِّ طاعنٍ

علينا بسوءٍ أو بملحقِ باطِلِ

١٧- ومن كاشِحٍ يسعى لنا بمعيبةٍ

ومن مُلحِقٍ في الدين ما لم يحاوِلِ

١٨- وثوْرٍ وما أرسى ثبيرًا مكانهُ

وراقٍ ليَرْقى في حراءٍ ونازلِ [٢]

١٩- وبالبيتِ وحقِّ البيتِ من بطنِ مكةَ

وبالله إنَّ اللهَ ليس بغافِــلِ

٢٠- وبالحَجَرِ المسودِّ إذ يمسحونَهُ

إذا اكتنفوهُ بالضُّحى والأصائِلِ

---

[١] - الوَدَع : خرزات تنظم يتحلى بها على شكل قلادة، العثاكل : جمع عثكول وهو العذق

[٢] - ثور وثبير وحِراء : جبال بمكة

٢١- وموطئِ إبراهيم بالصخرِ وطأةً

على قدميْهِ حافيًا غير ناعِلِ

٢٢- وكُلِّ سَحِيلٍ حولَ كعبةَ ربّنا

فتيلًا وما أبرمتْهُ بالمغازِلِ[١]

٢٣- وأشواطٍ بين المروتين وزمزمٍ

وما فيهما من صورةٍ وتماثِلِ

٢٤- وبالمشعر الأقصى إذا عمدوا لهُ

إلالًا الى مُفضى الشِّراجِ القوابِلِ[٢]

٢٥- وتوْقافِهِم فوق الجبالِ عشيَّةً

يقيمون بالأيدي صدورَ الرواحِلِ

---

[١] - السحيل : الحبل الذي يفتل فتلًا واحدًا، المبرم : الحبل مفتول الغزل طاقين

[٢] - إلال : حبل من الرمل في عرفات، والشِّراج : مسايل الماء في الأودية، قوابل متقابلة

٢٦- وليلةِ جمْعٍ والمنازِلِ من مِنى

وما فوقَها من حُزْوَةٍ ومنازِلِ

٢٧- وجمْعٍ إذا ما المُقرَباتُ أجزْنَهُ

سِراعًا كما يخرجْنَ من وقْعِ وابِلِ

٢٨- وبالجمرةِ الُبرى إذا قصدوا لها

يؤمُّونَ قذفًا رأسَها بالجنادِلِ

٢٩- وكندةَ إذ هُمْ بالحِصَاب عشيَّةً

تُجيزُ لهم حُجّاج بكر بن وائِلِ

٣٠- حليفانِ شدَّا عقدَ ما احتلفا له

ودًّا عليهِ عاطفاتِ الرسائِلِ

٣١- ومنْ حجَّ بيتَ اللهِ من كُلِّ راكِبٍ

ومن كُلِّ ذي نذرٍ ومن كُلِّ اجِلِ

٣٢- وحطْمهم سُمرَ الرماحِ وسرْحهُ

وسيرهم وخْدَ النَّعامِ الجوافِلِ

٣٣- فهلْ بعدَ هذا من معاذٍ لعائذٍ

وهلْ من حليفٍ يتَّقي اللهَ عاذِلِ

٣٤- ألمْ تعلموا أنَّ الصحيفةَ أُهلكتْ

وأنَّ الذي جئتم به قولُ باطِلِ

٣٥- أطاعوا بنا الأعداءَ ودُّوا لو أننا

تُسَدُّ بنا أبوابُ تُرْكٍ وكابِلِ

٣٦- كذبتُم – وبيت اللهِ – نتركُ مكةً

ونظعنُ إلا أمرُكم في زلازِلِ

٣٧- وكلَّا لعمْرُ الله لا تخرجوننا

ونخرجُ من حقّاتِها لم تُقاتِلِ[١]

٣٨- كذبتُم – وبيت اللهِ – يُخْزى محمدٌ

ولمّا نُطاعِنْ دونَهُ ونُناضِلِ

---

[١] – الحقَّة والحاقَّة : الداهية والنازلة

٣٩- ونُسلِمهُ حتى نُصَرَّعَ حولهُ

ونُذهلَ عن أبنائِنا والحلائِلِ

٤٠- وينهضُ قومٌ في الحديدِ إليكم

نهوضَ الرَّوايا تحت ذلتِ الصلاصِلِ[١]

٤١- وينهد أقوامٌ كِرامٌ إليكم

بيضٍ خِفافٍ والرّماحِ الذوابِلِ

٤٢- وحتّى يُرى ذو الضَّغْنِ يركبُ رذْعهُ

من الطَّعنِ فِعْلَ الأرْكبِ المتحامِلِ[٢]

٤٣- وإنا لعمرُ الله إنْ جدّ جدِّنا

لتلتبسنْ أسيافنا بالأماثِلِ

٤٤- بكُلَّ فتىً مثل الشهابِ سَمَيْدعٍ

أخي ثقةٍ حامي الحقيقة باسِلِ

---

[١] - ذات الصلاصل : المزادة التي ينقل فيها الماء

[٢] - الأركب : البعير الذي إحدى ركبتيه أعظم من الأخرى

٨٠- السِّرُّ : الخالص المحض من النسب وغيره

٤٥- من السِّرِّ في فرعيْ لؤيِّ بن غالبٍ

نيع الحمى عندَ الوغى غير واكِلِ[١]

٤٦- صَبورٍ على ما نابهُ غير زُمَّلٍ

مِحَسّ حروبٍ في الردى غير نـاكِلِ[٢]

٤٧- شهورًا وأيامًا وحولًا مُجَرَّما

علينا وتأتي حجَّةٌ بعدَ قابِلِ[٣]

٤٨- وما تَرْكُ قومٍ – لا أبا لك – سيِّدًا

لحَوْطِ الذَّمارِ غير نِكْسٍ مُواكِلِ

٤٩- وأبيضَ يُسْتسْقى الغمامُ بوجهه

ربيعُ اليتامى عِصمةٌ للأرامِلِ

٥٠- يلوذُ به الهُلّاك من آلِ هاشمٍ

فهم عندهُ في نعمةٌ وفواضِلِ

---

[١] – السِّرُّ : الخالص المحض من النسب وغيره

[٢] – الزُّمَّل : الجبان الرذل

[٣] –

٥١- لعمري لقد أجزى أُسَيْدٌ وبِكْرُهُ

إلى بُغضِنا وَجْزًا بأكلةِ آكِلِ

٥٢- جَزَتْ رَحِمٌ عنا أُسَيْدًا وخالدًا

جزاء مُسِيءٍ عاجلًا غيرَ آجِلِ

٥٣- وعثمانُ لم يَرْبَعْ علينا وقنفذٌ

ولكن أطاعا أمرَ تلكَ القبائِلِ

٥٤- أطاعوا أُبيًا وابن عبد يغوثهم

ولم يرقبوا فينا مقالةَ قائِلِ

٥٥- كما قد لقينا من سُبيعٍ ونوفلٍ

وكُلٌّ تولى مُعرضًا لم يمايِلِ[1]

٥٦- فإنْ يعثرا أو يُمكن اللهُ منهما

نَكِلْ لهما صاعًا بصاعِ المُكايِلِ

---

[1] - لم يمايل : لم يمالئ

٥٧- وأنَّ أبا عمرٍو أبى غيرً بُغضنا

ليُظْعِننا في أهلِ شاءٍ وجامِلِ [١]

٥٨- يناجي بنا في كُلِّ ممسىً ومصبحٍ

فناجِ أبا عمرٍو بنا ثم خالِلِ[٢]

٥٩- ويُقسمُ لي بالله ما إنْ يغشّنا

بلى قد نراه جهرةً غيرَ خاتِلِ

٦٠- أضاقَ علينا بُغضنا كلَّ تلعةٍ

من الأرضِ فيها بين خُشبٍ وحادِلِ[٣]

٦١- الى السِّيْفِ سيفِ البحرِ كُلَّهُ

بأكنافِ مَرٍّ كلِّها فالمجادِلِ[٤]

---

[١] - جامل : اسم جمع أي جَمال : جمع جمل

[٢] - خالل : من الخلة وهي الصداقة

[٣] - خشب : وادٍ على مسيرة ليلة من المدينة، او هو جبل، والأخاشب : جبال مكة .

[٤] - المِجْدَل : القصر وجمعه مجادل

وَسَائِل أبا الوليد ماذا حَبَوْتنا

وسعيكَ فينا مُعرضًا كالمُخاتِلِ

٦٢- وكنتَ إمرءًا ممن يُعاشُ برأيهِ

ومنهبةٍ حينًا ولستَ بجاهِلِ

٦٣- أ عُتْبتُ لا تسمعْ بنا قولَ كاشحٍ

حسودٍ كذوبٍ مُبغضٍ ذي غوائِلِ

٦٤- ولستُ أُباليهِ على ذاتِ نفسِهِ

فعشْ يا ابن عمّي ناعمًا غيرَ شاكِلِ

٦٥- وقد خفْتُ إنْ لمْ تزدجرهم وترعو

تُلاقي ونُلقى منكَ إحدى الزلازِلِ

٦٦- ومَرَّ أبو سفيان عنّي مُعرضًا

كهِبَّةِ قَيْلِ من عظام المقاوِلِ

٦٧- يفرُّ الى نجدٍ وبرد مياهها

ويزعُم أنّي لستُ عنكم بغافِلِ

٦٨- ويُخبرُنا فعْلَ المُناصحِ أنَّهُ

شفيقٌ ويُخفي عارِماتِ الدَّواخِلِ

٦٩- أ مُطعمُ لم أخذلكَ في يومِ نجدةٍ

ولا مُعظمٍ عندَ الأمورِ الجلائِلِ

٧٠- ولا يومِ خصمٍ إذ أتركَ ألدَّةَ

أُولي مأْقةٍ من الخصومِ المَسَاحِلِ[1]

٧١- أ مُطعمُ إنَّ القومَ ساموكَ ذِلَّةً

وإني متى أُوْكَلْ فلسْتُ بآبِلِ

٧٢- جزى الله عنّا عبد شمسٍ ونوفلًا

عقوبةَ سوءٍ عاجلًا غيرَ آجِلِ

٧٣- بميزانِ قسطٍ لا يخيسُ شعيرةً

لهُ شاهدًا نت نفسِهِ غيرُ عائِلِ

---

[1] - المأقة : الحقد، المساحل : الشجعان

٧٤- لقد سفهتْ أحلامُ قومٍ تبدَّلوا

بني خَلفٍ قيْضًا بنا والغياطِلِ

٧٥- ونحنُ الصَّميمُ من ذُؤابِةِ هاشمٍ

وآلِ قُصّيٍ في الخطوبِ الأوائِلِ

٧٦- وإنَّ لنا حوضَ السقايةِ دونهم

ونحنُ الذُّرى من غالبٍ في الكواهِلِ

٧٧- فما أدركوا ذحلًا ولا سفكوا دمًا

وما حالفوا إلّا شِرارَ القبائِلِ

٧٨- بني أُمَةٍ محْبوكةٍ هندكيةٍ

بني جُمْحٍ عُبَدًا لقيس بن عاقلِ

٧٩- وسهمٌ ومخزومٌ توالوْا وألبوا

علينا العِدا من كُلِّ طِمْلٍ وخامِلِ[1]

---

[1] - الطمل : الفاحش البذيء الذي لا يبالي ما يصنع وما يقال له

٨٠- وَحَّدتْ بنو سَهمٍ علينا عَدِيَّها

عَدِيَّ بن كعبٍ فاحْتَبوا بالحمائِلِ

٨١- يعضُّونَ من غيظٍ علينا أكُفَّهم

بلا قوَّةٍ بعد الحِجا والتواصِلِ

٨٢- ليالي إذ كُنّا غَضِبْنا لنصرهم

ليالي ساقوهم بِصُمّ العواسِلِ

٨٣- وسائِطُ كانتْ في لُوَيّ بن غالبٍ

نفاهم إلينا كُلُّ صقرٍ حُلاحِلِ[1]

٨٤- وَرَهْطُ نُفَيْلٍ شرُّ من وطيءَ الحصى

والأَمُ حافٍ من مَعَدٍّ وناعِلِ

٨٥- فأبلغ قُصيًّا أنْ سينشرُ أمرُنا

وبشِّرْ قُصيًّا بعدها بالتجادِلِ

---

[1] - الحلاحل : العظيم

٨٦- ولو طرقتْ ليلًا قُصيًّا عَظيمةٌ

إذنْ ما لجأْنا دونهم في المداخِلِ

٨٧- ولو صدقوا ضَرْبًا خلال بيوتهم

لكُنّا أُسىً عند النساءِ المطافِلِ

٨٨- فإنْ تكُ كعبٌ من لُوَيٍ صَقِيبةً

فلا بُدَّ يومًا مَّرةً من تزايِلِ

٨٩- سوى أنَّ رهْطًا من كلاب بن مُرَّةٍ

براءٌ إلينا من عقوقِ القبائِلِ

٩٠- بني أسَدٍ لا تطْرِفُنَّ على القذى

وكونوا كحَيٍّ من سَرَاةٍ أفاضِلِ

٩١- ودوموا على مجدٍ تليدٍ مؤثلٍ

وعزٍّ قديمٍ ليسَ بالمتضائِلِ

٩٢- نِعْمَ ابنُ أختِ القومَ فيما ينوبُهم

زُهيرُ الندى ذو المكرماتِ الفاضِلِ

٩٣- كريمُ النَّشا جلدُ القُوى ذو حفيظةٍ

وذو مَصْدقٍ عند اختلافِ الغوائِلِ[١]

٩٤- فتىً لمْ يزلْ يسمو الى المجدِ والعلا

قديمًا لعمري في بيانٍ ونائِلِ

٩٥- أشَمَّ من الشُّمِّ البهاليلِ ينتمي

الى حسبٍ في باحةِ المجدِ فاضِلِ

٩٦- وكُنَّا بخيرٍ قبلَ سُؤْدَدِ معشرٍ

هم ذبحونا بالمُدى والمغاوِلِ[٢]

٩٧- وكُلِّ صديقٍ وابنِ أختٍ نوِدَّهُ

وجدْنا لعمري غيْبهُ غيرَ طائِلِ

٩٨- لعمري لقد كُلِّفْتُ وجدًا بأحمدٍ

وإخوتهِ دأْبَ المُحِبِّ المواصِلِ

---

[١] - النشا والنشوة : الريح الطيبة

[٢] - المغاول : جمع مغول وهو الخنجر ذي الرأسين

٩٩- فلا زالَ في الدُّنيا جَمالًا لأهلها

وشَيْنًا لمن عادى وزَيَنَ المشاكِلِ

١٠٠- فمنْ مثلُهُ في الناسِ أيُّ مُؤَمَّلٍ

إذا قاسَهُ الحُكّامُ عندَ التفاضِلِ

١٠١- جميلُ المُحيا ماجدٌ وابنُ ماجدٍ

لهُ إرثُ مجدٍ ثابتٍ غير ناصِلِ

١٠٢- حليمٌ رشيدٌ سيِّدٌ وابنُ سيّدٍ

يؤُولُ اليهِ العلمُ ليسَ بجاهِلِ

١٠٣- فأيَّدَهُ ربُّ العبادِ بنصرِهِ

وأظهرَ دينًا حقَّهُ غيرُ زائِلِ

١٠٤- فقد علموا أنَّ ابننا لا مُكَذّبٌ

لدينا ولا يعنى بقولُ الأباطِلِ

١٠٥- ولولا حذارٌ أجِيْءَ بسُبَّةٍ

تُعَدُّ على أشياخنا في المحافِلِ

١٠٦- لتابعهُ من – ولو كان راغمًا

على أنفهِ – لَهفانَ لا بالتهازِل

١٠٧- رجالٌ كرامٌ غيرُ مِيلٍ نماهم

الى المجدِ آباءٌ كرامُ المنازلِ

١٠٨- وقُمنا لهم حتّى تبددَّ جمعُهم

ونزجرُ عنهُ كُلَّ باغٍ وداغِلِ[١]

١٠٩- بضربٍ ترى الفتيانَ منهُ كأنَّهم

أسودٌ ضوارٍ عندَ لحمٍ خرادِلِ[٢]

١١٠- ولكنَّا نسلٌ كِرامٌ لسادةٍ

بهم تعتلي الأقوامُ عندَ التصاوِلِ

١١١- سيعلمُ أهلَ الضِّغْنِ أُبَّي وأيُّهم

يفوزُ ويعلو في ليالٍ قلائِلِ

---

[١] – الداغل : الذي يبغي أصحابه الشَّرَّ

[٢] – خرادل : أي خراديل وهو المُقطَّع

١١٢- ومنْ ذا يملُّ الحربَ مني ومنهم

ويُحْمَدُ في الآفاقِ من قولِ قائِلِ

١١٣- فأصبحُ فينا أحمدٌ في أرومةٍ

تقصِّرُ عنها سَوْرةُ المتطاوِلِ

١١٤- حَدِبْتُ بنفسي دونَهُ وحميْتُهُ

ودافعتُ عنهُ بالذرى والكواهِلِ

بلغ مجموع المصادر التي وقفت عليها وروت القصيدة او أجزاء منها ((٦١)) واحدٍ وستين مصدرًا، قسمتها على سبعة محاور وهي كما يأتي:

١- محور السير : تعد كتب السيرة النبوية الشريفة أهم المصار التي اهتمت بتوثيق سيرة رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، لتطلع الأجيال اللاحقة لهم، وبذلك هي وثيقة مهمة تؤكد صحة القصيدة اللامية لأبي طالب (عليه السلام)، وسوف يكون

تسلسل هذه المصادر حسب كثرة الرواية وهي كما يأتي :

ا- السيرة النبوية لابن اسحق : ٢٢٣
ب- السيرة النبوية لأبن هشام : ٢١٨
ت – السيرة النبوية لابن كثير : ١٦٧
ث – الروض الأنف للسهيلي : ٣١
ج – السيرة الدحلانية لأحمد زيني دحلان : ١٠
ح – السير والمغازي لمحمد بن اسحق : ٦
خ – المنتقى من سيرة المصطفى : ٤
د – السيرة الحلبية لعلي بن برهان الدين الحلبي : ٣

٢- محور الكتب الدينية : تعد الكتب الدينية سجلا لتوثيق اركان الدين الاسلامي الحنيف، وحفظ تراثه وتعاليمه من الضياع والاختلاف وهي كما يأتي :

ا- الحجة على الذاهب الى تكفير أبي طالب للفخار بم معد الموسوي : ٢٤٣

ب – مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب : ٢٢٦

ت – شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي : ١٥٨

ث – النكت الاعتقادية للشيخ المفيد : ٦٩

ج – كنز الفوائد للكراجكي : ٤٩

ح – الغدير في الكتاب والسنة والادب : ٣٣

خ – الفصول المختارة للشيخ المفيد : ٢٣

د – بحار الأنوار للمجلسي : ١٦

ذ – الدرجات الرفيعة : ١٢

ر – بلوغ الأرب للآلوسي : ٣

ز – نهاية الأرب في فنون الأدب : ٣

ز – متشابهات القرآن لابن شهر آشوب: ٣

س – الكافي للكليني : ٢

ش – الإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر : ١

ص – الفسر لابن جني : ١

٣- محور الكتب الأدبية : هي كتب اهتمت بتراث العرب، وحافظت عليه من الضياع عبر توثيق ما

نقلته من الأخبار بالشعر العربي القديم ومنه شعر أبي طالب (عليه السلام)، وهي كما يأتي :

ا – خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي : ١٠٣

ب – الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني : ٧

ت – الرصان والعرجان والحولان والعميان للجاحظ : ٦

ث – التذكرة السعدي للعبيدي : ٣

ج – الحماسة الشجرية لابن الشجري : ٢

ح – الحماسة البصرية لابن ابي الفرج البصري :

خ – البيان والتبيين للجاحظ : ١

د – طبقات فحول الشعراء لابن سلام : ١

ذ – العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي : ١

ر – الأمالي لابن الشجري : ١

٤- محور الكتب المعاجم : كتبت المعاجم كتبت لتؤكد فصاحة الكلمات وبعدها عن الحوشية والعجمة مع ذكر دلالاتها عبر توثيقها من اشعار عصر

الفصاحة ومنهم أبي طالب (عليه السلام)، وهي كما يأتي :

ا – المعاني الكبير لابن قتيبة : ١٠

ب – الاشتقاق لابن دريد : ٨

ت – الزاهر في معاني الناس لأبي بكر الأنباري : ٧

ث – معجم لسان العرب لابن منظور : ٧

ج – تاج العروس للمرتضى الزبيدي : ٧

ح – تهذيب التهذيب : ٤

خ – العين للفراهيدي ٢

د – المقاييس لابن فارس : ٢

ذ – أساس البلاغة : ٢

ر – البارع لأبي علي القالي : ٢

ز – ديوان المعاني للعسكري : ١

س– الصحاح للجوهري : ١

٥– محور الكتب اللغوية : تعد الكتب اللغوية هي الوعاء الصالح للحفاظ على قواعد اللغة العربية ونحوها وصرفها مؤكدة سلامة الألفاظ عبر توثيقها

من شعر عصر الفصاحة ومنهم شاعرنا أبا طالب (عليه السلام) وهي كما يأتي :

ا – شرح شواهد المغني للسيوطي : ١٢
ب – مغني اللبيب عن شرح كتب الأعاريب لابن هشام : ٥
ت – الكتاب لسيبويه : ٣
ث – تحصيل عين الذهب للشنتمري : ٣
ج – المقتضب للمبرد : ٢
ح – المقرب لابن عصفور الأشبيلي : ٢
خ – شرح الجمل للزجاجي : ١
د – سمط اللاليء للبكري : ١

٦- محور كتب الأنساب: كتب الأنساب عبارة عن مشجرات وثقت أصول القبائل العربية فضلا عن توثيقها لأنساب ابنائها معززة ما ذهبت اليه بالشعر العربي القديم وهي كما يأتي :

ا – أنساب الأشراف للبلاذري : ٣٢
ب – الاشتقاق لابن دريد : ٨

ت – نسب قريش للزبيري : ٢

ث – جمهرة النسب لابن الكلبي : ١

د – التبيين في نسب القرشيين : ١

٧- محور الكتب التاريخية : التاريخ هو سجل الوقائع والأحداث للأمم للحفاظ على تراثها وماضيها موثقة أخبارها بشواهد من الشعر العربي القديم ومنه شعر أبي طالب (عليه السلام) وهي كما يأتي :

ا- البداية والنهاية للحافظ ابن كثير : ١٥٤

ب – تاريخ الرسل والملوك للطبري : ٢

ت – الكامل في التاريخ لابن الأثير : ١

ث – تاريخ اليعقوبي : ١

ج – المحبر لابن حبيب : ١

الخاتمة:الملاحظ على هذه المصادر التي وثقت اللامية وحفظتها من الضياع هو اختلافها في الرواية بين الزيادة والنقصان، والتقديم والتأخير، فضلا عن اختلاف الروايات عبر تغيير بعض الألفاظ، ومع ذلك فهي جميعها متفقة على صحة نسبتها لشاعرها أبي طالب (عليه السلام) هذا من جانب، ومن جانب آخر استحالة

اتفاق عدد كبير مثل هذا الرقم من الرواة والمؤلفين على صحة قصيدة لأي شاعر، لا قديمًا ولا حديثًا، وفي ختام البحث اعتذر منكم إنْ نسيت مصدرًا أو سهوت عنه، فجلَّ من لا ينسى ولا يخطئ، والحمد لله أولًا وآخرًا، وصلى الله تعالى على سيدنا وشفيعنا ونبيينا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

المصادر والمراجع :

- ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري – للعسقلاني أحمد بن محمد (ت٩٩٣هـ) ط ٦، الميرية، ١٣٠٤هـ، بولاق، مصر.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب – أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبدالبر، ١٣٥٨هـ، القاهرة.
- الإصابة في تمييز الصحابة – لابن حجر العسقلاني، ١٣٥٨ هـ، القاهرة.

- أنساب الأشراف ـ أحمد بن يحيى المعروف بالبلاذري، تحقيق د.محمد حميدالله، دار المعارف بمصر، (د. ت).

- الأنوار العلوية والأسرار المرتضوية في أحوال أمير المؤمنين، فضائله ومناقبه وغزواته، جعفر النقدي، المطبعة الحيدرية، الطبعة الثانية، ١٩٦٢م – ١٣٨٢هـ، النجف الأشرف. البرصان و العرجان و العميان و الحولان، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٢ م، العراق .

- تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) ـ لأبي جعفر الطبري (ت٣١٠هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، مصر، (د.ت) .

- تاريخ اليعقوبي – أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت٢٥٤هـ)، تحقيق السيد محمد صادق بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٨٤هـ .

- تذكرة الخواص – ليوسف بن قزالي الحنفي البغدادي المشهور بسبط ابن الجوزي (ت٦٥٤هـ) المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٨٣هـ .

- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب – لعبدالقادر البغدادي (ت١٠٩٣هـ)، تحقيق محمد عبدالسلام هارون، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ – ١٩٨٤م، القاهرة .

- الدر النظيم في مناقب الأئمة اللهاميم – تأليف الشيخ جمال الدين يوسف بن حاتم العاملي،

من أعلام الفرن السابع الهجري، نشر مؤسسة النشر الإسلامي، ترجمة مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٢٠هـ ق.

- ديوان أبي طالب بن عبدالمطلب – صنعة أبي هفان ابن أحمد المهزمي البصري (ت٢٥٧هـ) تحقيق العلامة السيد محمد صادق آل بحر العلوم لحساب المكتبة المرتضوية وطبع في المطبعة الحيدرية في النجف ألاشرف في سنة ١٣٥٦ هـ .

- ديوان أبي طالب بن عبدالمطلب – صنعة أبي هفان ابن أحمد المهزمي البصري (ت٢٥٧هـ)، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، ١٩٩٢ م – ١٤١٣هـ، بغداد .

- ديوان أبي طالب بن عبدالمطلب – صنعة علي بن حمزة البصري التميمي (ت٣٥٧هـ)،

تحقيق الشيخ محمد حسن ال ياسين، دار مكتبة الهلال، ٢٠٠٠م، بيروت .

- ديوان الإمام علي أمير المؤمنين وسيد البلغاء والمتكلمين – جمع وترتيب عبدالعزيز الكرم، مطبعة الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥م، بغداد .

- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية – لأبي القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد السهيلي (ت٥٨١هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت

- السير والغازي – لمحمد بن اسحق، دمشق، ١٣٩٨هـ .

- السيرة النبوية – لأحمد بن دحلان، القاهرة، ١٣٥١هـ .

- السيرة النبوية – علي بن برهان الدين الحلبي، ١٣٥١ هـ، القاهرة .

- السيرة النبوية ـ لابن هشام، حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري، عبدالحفيظ شلبي، ١٣٥٥هـ ـ ١٩٣٦م، مصر.

- شرح نهج البلاغة – لابن أبي الحديد المعتزلي، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية، بيروت – لبنان .

- صحيح مسلم – باب القسامة، دار صادر، بيروت، (د. ت) .

- الطبقات الكبرى – محمد بن سعد البصري، دار صادر، بيروت .

- طبقات فحول الشعراء ـ لمحمد بن سلام الجمحي (ت٢٣١هـ) قراءة وشروح محمود محمد شاكر، مصر، (د. ت) .

- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب – تأليف النسابة الشهير السيد جمال الدين أحمد بن علي الحسيني المعروف بابن عنبة (ت٨٢٨هـ)، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، النجف الأشرف، (د.ت).

- عمدة القارئ شرح صحيح البخاري – بدرالدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني (ت٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي والفكر العربي، بيروت .

- كتاب الحجة على الذاهب – لفخار بن معد الموسوي، النجف الأشرف، ١٣٥١هـ .

- كتاب نسب قريش – لأبي عبدالله المصعب بن عبدالله بن المصعب الزبيري (٢٣٦هـ)، عنى بنشره لأول مرة وتصحيحه والتعليق عليه إ. ليفي بروفنسال، دار المعارف، ط ٣، مصر .

- لسان العرب . ابن منظور (ت٧١١هـ)، أعاد بناءه على الحرف من الكلمة يوسف خياط، ونديم المرعشلي، دار لسان العرب، بيروت (د.ت)

- المعارف – لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط٢، ٢٠٠٣م – ١٤٢٤هـ، بيروت – لبنان .

- مصنف ابن ابي شيبة – لأبي عُبيد أبي خيثمة الخطيب البغدادي (ت٢٣٥هـ)، تحقيق سعد بن

ناصر بن عبدالعزيز أبو حبيب الشتري، ط ١، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م.

- مناقب آل أبي طالب – أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب السرَّوي المازندراني، تحقيق وتصحيح وشرح ومقابلة، لجنة من أساتذة النجف الأشرف، ١٩٥٦م – ١٣٧٦هـ، النجف الأشرف .

- المنمق في أخبار قريش – لمحمد بن حبيب البغدادي (ت٢٤٥هـ)، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٠م .

- مواهب الواهب في فضائل والد أمير المؤمنين أبي طالب (عليه السلام) – للشيخ محمد جعفر النقدي، تحقيق الدكتور الشيخ محمد هادي الأميني، شركة الكتبي، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م .

تداعيات متألم
قراءة في لامية أبي طالب

ا. د كريم الوائلي
جامعة الكوت

" كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يعجبه أنْ يروى شعر أبي طالب، وأنْ يدون وقال: تعلموا وعلموا أولادكم فإنَّ فيه علم كثير" الاميني، الغدير ٣٩٣/٧ .

إنَّ لامية أبي طالب " أفحل من المعلقات السبع وابلغ في تأدية المعنى فيها جميعا " ابن كثير، البداية والنهاية ٣/ ٥٧.

١

توطئة:

يُعدُّ أبو طالب عبد مناف بن عبد المطلب شخصية تاريخية بارزة حظيت باهتمام كبير من المؤرخين والباحثين واللغويين والنقاد على مر العصور. فقد كان له دورٌ فاعل في كفالة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وحمايته والدفاع عنه، واعتناق أفكاره ومعتقداته، فهو كما قال عبد الله الخنيزي " وأبو طالب نصير الرسول وحاميه، والمؤمن برسالته، فهو شيخ

البطحاء وبيضة البلد"[1] وقد أشار الى ذلك القدامى والمحدثون: فقد اشار ابن هشام في سيرته النبوية إلى مواقف أبي طالب في الدفاع عن الرسول، وكيف كان يواجه المعضلات والمشكلات التي كانت تعترضه، واستشهد بأربعة وتسعين بيتا من قصيدته اللامية وقال "هذا ما صح لي من هذه القصيدة"[2].

ويقول ابن أبي الحديد إنَّ أبا طالب هو الذي كفل رسول الله صلى الله عليه وآله صغيرًا وحماه وحاطه كبيرًا ومنعه من مشركي قريش، ولقي لأجله عنتًا عظيمًا، وقاسى بلاء شديدا، وصبر على نصره والقيام بأمره ويؤكد ذلك في موطن آخر أنَّ "من قرأ السير عرف أنَّ الاسلام لولا ابو طالب لم يكن شيئا مذكورا" [3]، وذكر ابن

---

[1] عبد الله الخنيزي ، مؤمن قريش ، دراسة وتحليل ، دار الغدير ، قم ، ١٩٨٣ ، ص ٩٤.

[2] ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: محمد عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، م ١٩٩٠م، ١ / ٣١١ .

[3] ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاء ط ١، ١٩٥٩م ١ / ١٤٢.

كثير في البداية والنهاية أنَّ لامية أبي طالب" قصيدة عظيمة بليغة جدا لا يستطيع أنْ يقولها إلّا من نسبت إليه، وهي أفحل من المعلقات السبع، وأبلغ في تأدية المعنى فيها جميعا "[1]، وذكر البغدادي في خزانه الأدب أنَّ لأبي طالب قصيدة تزيد عن ١٠٠ بيت عاذ فيها بحرم مكة، وبمكانه منها، وتودد فيها الى أشراف قومه، واخبر قريشا انه غير مسلم محمدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لاحد ابدا حتى يهلك دونه، ومدحه فيها أيضا وقالها في الشعب لما اعتزل مع بني هاشم وبني عبد المطلب قريشا "[2].

واستشهد الخليل بن أحمد الفراهيدي بنصوص شعرية لأبي طالب في كتابه "العين" في موطنين أولهما في مادة "جَرَمَ"، إذ ذكر: "وأقمت عنده حَولا مُجَرَّماً، أي حَوْلا تاما حتى انقضى، وقال أبو طالب: شهورا وأياما علينا

---

[1] ابن كثير البداية والنهاية، مكتبه المعارف، بيروت ١٩٩١م، ٣/ ٥٧ .

[2] البغدادي، خزانة الادب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٦م، ٢ / ٥٧ .

مُجَرَّماً "[1] وثانيهما في مادة "قمطر"، ذكر الخليل: "هو يوم قَمطَرير فاشي الشر وشر قُماطِر"... قال أبو طالب:

وكنتُ إذا قومٌ رَمَوني رَميتُهم

مُسْقطةِ الأحمال فَغماءَ قِمطَرِ". [2]

واستشهد سيبويه بشعر أبي طالب في موضعين، أحدهما: قوله " وأجروا اسم الفاعل إذا أرادوا أنْ يبالغوا في الأمر مجراه كان على بناء فاعل ... وقال أبو طالب ابن عبد المطلب :

ضَروبٌ بنصل السيف سُوقَ سمانِها

إذا عدموا زاداً فانك عاقرُ" [3]

---

[1] الخليل بن احمد الفراهيدي، العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الهلال، بيروت، د. ت، مادة: جرم ٧، / ١١٩ .

[2] نفسه، مادة: قمطر، ٥ / ٢٥٨ .

[3] سيبويه، كتاب سيبويه، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٦م، ١ / ١١٠ ـ ١١١ .

وثانيهما في قوله: إنك إذا جعلت فَعَلَ اسما تغير عن حاله وصار بمنزلة الأسماء وكما انك إذا سميته بأفعل غيّرته عن حاله في الأمر، قال الشاعر وهو أبو طالب :

ليتَ شعري مُسافرَ بن أبي عمرو

وليتٌ يقولُها المحزونُ " [1]

واستشهد النحاة واللغويون بتسعة عشر شاهدا من شعر أبي طالب [2]، ولسنا في سياق عرض مواطن توثيق شعر أبي طالب، ولكننا نشير الى أهمية شعر أبي طالب صدقه وأهميته في هذا السياق.

٢

تشتمل لامية أبي طالب على المعاني المتعلقة بالألم والمشاعر الإنسانية، وتعكس هذه القصيدة تجربة

---

[1] سيبويه، كتاب سيبويه،٣ / ٢٦٠ ـ ٢٦١ .

[2] ينظر: سجاد عباس حمزة، الاستشهاد بشعر أبي طالب في المسائل النحوية، مجلة "أوراق ثقافية" في العدد ٩ من السنة الرابعة، عام ٢٠٢٢م.

شخصية عميقة لأبي طالب بن عبد المطلب، عم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، الذي كان يدافع عنه ويحميه، وهي شهادة صادقة عبرت عن معاناته وآلامه، سواء أكانت ناتجة عن الصراع الداخلي بين إيمانه برسالة ابن أخيه والقيود التي تفرضها البيئة الجاهلية، أم عن مقاومته للضغوط الخارجية التي واجهها.

كان لموقف قريش السلبي من حماية أبي طالب للرسول صلى الله عليه وآله وسلم أثرٌ عميق يبعث على الألم والحزن، فضلا عن حصار بني هاشم في شعب أبي طالب، الأمر الذي يجعل من هذين الحدثين مثيرا خارجيا قويا يبعث على القلق والتأمل، ويترك المثير الخارجي أثرًا في الإنسان، مما يؤدي إلى نشوء انفعال، ثم يعبر الإنسان عن هذا الانفعال ويسيطر عليه بأسلوب أدبي، بمعنى أنَّ هناك نوعين من الإحساس: الخارجي والباطني، ويتولد الإحساس الخارجي من وجود المثير الذي يؤثر في الحواس ثم ينتقل إلى الذهن، بينما يتمثل الإحساس الباطني في النشاط الذهني الذي يدور حول الأفكار وينتج عن ذلك بعض الانفعالات مثل الرضا

والضيق والألم[1]، ويؤكد عادل صادق أنَّ "أشد الآلام وأقساها تحدث عندما يفقد الإنسان شخصًا عزيزًا عليه، أو عندما يواجه تهديدًا بفقدانه".[2]

يعد المثير الخارجي دافعًا للتعبير، ويعتمد على الملاحظة المباشرة للمكان والزمان معًا. إذ ينتقل الشاعر في تداعياته بين صور الطلل ووصف الحيوانات

---

[1] ينظر: محمد فتحي الشنيطي، مبحث للفهم الانساني لجون لوك، ص ٤٤١.
file:///C:/Users/Dr.Kareem/Desktop/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%84%D9%85/%D9%85%D8%A8%D8%AD%D8%AB-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%87%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%86%D8%B3%D8%A7%D9%86%D9%8A-%D9%84%D8%AC%D9%88%D9%86-%D9%84%D9%88%D9%83%20(1).pdf

[2] عادل صادق، الألم النفسي والعضوي، القاهرة، د .ت، ٢٠٠٨م، ص ٣٢ .

والسماء. كما تتضمن القصائد أحيانًا أنماطًا من الصور والسرد التي تعبر عن أساطير وخرافات[1].

يمثل الألم في لامية أبي طالب انعكاسا لمأساة الإنسان عندما يجد نفسه في صراع بين معتقداته الداخلية وضغوط مجتمعه. وهي تجربة معقدة تتنوع فيها الأبعاد والمشاعر، إذ تشمل الجسد والعقل والروح. ويثير الألم تساؤلات ملحة حول معنى الحياة، إذ يمثل في أحد جوانبه تجربة وجودية مليئة بالقلق والترقب، وتعكس هشاشة الإنسان ووحدته أمام الكون وتغيرات الواقع .

ينشأ الألم من تأمل الذات الإنسانية للوجود الخارجي، مما يسهم في تشكيل مشاعر الإنسان وتعبيره عن عواطفه تجاه الآخرين، سواء أكانوا أعداء أم أصدقاء، ويتجلى الألم لدى أبي طالب عبر ردوده على الآخرين، سواء أكانوا جماعات أم أفراد يمثلون الشر، فيقف متحدياً

[1] ينظر كتابنا: الشعر الجاهلي قضاياه وظواهره الفنية، الجيل الجديد، صنعاء، ٢٠٠٣م، ص ٢٦٥ .

لهم وينحاز في الوقت نفسه للخير، مستنداً إلى القيم والأخلاق التي تتبناها الدعوة الإسلامية .

التداعي:

التداعي يقود الألم في لامية أبي طالب الى انثيالات من التداعيات المتتابعة في القصيدة، ويُعدُّ التداعي من المفاهيم الأساسية في الفلسفة وعلم النفس والأدب، إذ يشير إلى العملية الذاتية التي يربط فيها الوعي البشري بين الأفكار والصور بشكل تلقائي في الغالب، وأحيانًا بشكل موجه. ويؤكد منير وهب الخازن أنَّ التداعي هو تتابع الأفكار في الشعور، إذ تظهر واحدة تلو الأخرى .[١] بمعنى أنَّ هناك ارتباطًا بين خواطر الذهن البشري وأفكاره، يتصل باللاوعي والذاكرة والخيال. ويرى ديفيد هيوم أنَّ هناك ثلاثة مكونات رئيسة تحفز التداعي: التشابه، بمعنى الأفكار المتشابهة؛ والتجاور، الذي يرتبط

[١] منير وهبي الخازن، معجم مصطلحات علم النفس، دار النشر للجامعيين، بيروت، د.ت، ص ٢٤.

بالزمان والمكان؛ والسببية، أي الارتباط بناءً على علاقة سببية.[1]

ويعد التداعي في الإبداع الأدبي ظاهرة عن تدفق الأفكار والصور والمعاني والدلالات، مما يخلق تأثيرًا عاطفيًا وجماليًا لدى القارئ. كما يكشف في الوقت نفسه عن قدرة الشاعر على استثمار الصور والأفكار بشكل عفوي لإنتاج تعبيرات غنية بالمعاني والدلالات الجمالية، في هذا السياق، يُعد التداعي عملية ذهنية واعية وغير واعية في آن واحد، إذ تتشابك الصور والأفكار.

بنية القصيدة:

شغلت بنية القصيدة النقد العربي قديمه وحديثه، ويمكن تأملها عبر منظورين، يتأمل أحدهما القصيدة من جهة المتلقي، ويتأملها الثاني من جهة المبدع، ولعل أبرز من يمثل المنظور الأول ابن قتيبة (ت ٢٨٦ هـ) الذي

---

[1] ديفيد هيوم، تحقيق في الذهن البشري ترجمة محمد محجوب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٨م، ص ٤٨.

أرجع بنية القصيدة الى مقولات عقلية ، ترد الكثرة والتنوع الى وحدة ذات شبه منطقي، فهو " يؤسس بنية القصيدة انطلاقاً من المكان، ويتطور بها وفق مسببات منطقية تقود إلى نتائج تتوقف في النهاية عند المديح الذي يقود هو الآخر إلى الجائزة والمكافأة " [1].ويمثل المنظور الثاني فالتر براونه الذي يقيم علاقة بين الذات وموضوعها، ومن ثم لا يمثل الطلل مثيرا خارجيا، كما هو الحال عند ابن قتيبة، وإنما يمثل مشكلة وجودية يعيشها الشاعر، وتتصل المشكلة الوجودية عند فالتر براونه بالقضاء والفناء والتناهي، ليجد مسوغاً لهذا البكاء والحزن الذي يشيع في قصائد الجاهليين، " فمن يقرأ أوصاف المشاهد الفرحة بتدقيق يدرك ما يضايق الإنسان ويقلق الشاعر اللطيف الحس من مخاوف الوجود، من الذي ينكر أن كثيرا من الشعراء القدماء يتذكرون الأيام السعيدة ويصفون ساعات اللهو والشرب والهزل والمداعبة

---

[1] كريم الوائلي، الخطاب النقدي عند المعتزلة، مكتبة زاكي، بغداد، ٢٠٢١م، ص ٢٥٢. ولمزيد من التفصيل: ينظر الصفحات ٢٣٥ وما بعدها .

ولكنهم يتكلمون على هذا كله بصرخة الألم ... هذا هو موقف الإنسان في تاريخه كله فإنه يشعر دائما بتهديد القضاء وتوعد الفناء ... اختبار القضاء والفناء والتناهي هذا ما كان يشعر به شعراء العرب وهذا الشعور معبر عنه في نسيب قصائدهم»[1]

ان تعدد الموضوعات والاغراض الشعرية لا يعني مطلقا ان القصيدة مفككة، أو ان تفككها قد يدل على الوضع والانتحال، فإن معلقة امرئ القيس تميزت بتعدد موضوعاتها: ١ ـ الطلل .٢ ـ الليل .٣ ـ الذئب .٤ ـ السيل، وعلى الرغم من ذلك فإنها تتسم بوحدتها البنائية الخاصة ذات الطبيعة التراكمية،[2] بمعنى ان الأبيات الشعرية تتتابع البيت تلو الآخر، ففي المقدمة الطللية تتابع الأبيات وتتراكم مكونة وحدة واحدة، غير أن الشاعر يعتمد بنية استرجاعية لا تلتزم بالتراكم العمودي

---

[1] فالتر براونه، الوجودية في الجاهلية، مجلة المعرفة السورية، العدد: ٤، حزيران، م١٩٦٤، ص ١٦٠ .

[2] ينظر كتابنا، الشعر الجاهلي قضاياه وظواهره الفنية، ص ١١٨ ـ ١١٩ .

وإنما تتفرع أفقيا، وتعود إلى الأصل، وان هذا يرتبط بالزمن، لان الاحساس به يمثل بعداً ذاتياً فردياً لدى الشاعر، ولا يمكن تمثله بدون المكان لأنَّ المكان « هو الاطار الذي تقع فيه الأحداث »[1].

وليست هذه الموطن مستقلة عن بعضها في وجودها التكويني عن بنية المعلقة ونسيجها الشعري، بل إنَّها تمثل وحدات تتكون منها الوحدة العضوية للمعلقة كلها، وتتحكم فيها ثنائية الحاضر /الانفصام، والماضي / التواصل.

إنَّ الطلل بوصفه مثيراً مكانياً يقترن بدلالات عاطفية ووجودية، وإذا كان للمكان وجهان كما يذهب أدونيس[2] وجه يجذب، ووجه يخيف فإنَّ الطلل لدى امرئ القيس يدل على الوجه المرعب المخيف، لأنه يوحي برحلة الانسان الى الموت، وكأنَّ موت الطلل موت الانسان، ويمثل الطلل مكاناً مجدباً مقفراً لا حياة فيه، وكأننا إزاء

---

[1] سيزا قاسم، بناء الرواية، الهيأة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤ م، ص ٧٦.

[2] ادونيس، مقدمة للشعر العربي،، دار العودة، بيروت، د. ت، ص ١٥.

زمانين، زمن الشاعر الذي يبعث على الألم والبكاء، وزمن المحبوبة المفعم بالتواصل، فالطلل انعكاس لحالة الانفصام المستقرة في أعماق الشاعر، وكأنها المعادل الموضوعي[1] ـ بحسب ت. س. إليوت ـ للعالم الداخلي للشاعر، ولذلك يحاول الشاعر كسر الانفصام ومحاولة التعويض النفسي وذلك بالانتقال الى زمن المحبوبة الذي يعبر فيه عن تواصله معها، وذلك بسرد حكاياته العاطفية المتنوعة .إنَّ التعويض النفسي يدل على هروب الشاعر من وطأة الزمن على الانسان، لأنَّ الشاعر يعيش حالة من الخوف والفزع، ولذلك اعتمد الحكاية أداة لكسر وطأة الحاضر عليه، إنَّ التباين الزمني قد اضفى على المكان ملامح تدميرية، إذ أصبح خاوياً، ولا أحسب أنَّ الشاعر يصف ـ هنا ـ مكاناً خارجياً، وإنما يعبر عن عالمه الداخلي الذي يسقطه

---

[1] ف. أ. ماثيسن، ت. س. اليوت الشاعر الناقد، ترجمة احسان عباس مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بيروت، نيويورك، ١٩٦٥م، ص ١٣٢.

على الطلل، وهذا يعني أنَّ التدمير ليس بفعل الزمن بقدر ما هو تدمير ذاتي في أعماق الشاعر .

وحين نتأمل لامية ابي طالب نلتقي ببنيتين: الأولى سطحية، تتمثل في الأبيات الشعرية التي تتجاوز المئة بيت، وتتناول موضوعات متنوعة، والثانية عميقة، تربط هذه الأبيات عبر موضوعات متداخلة. يمثل الشاعر "أنا" في بعض الأحيان و"نحن" في أحيان أخرى، مما يجعلهما مركز القصيدة، إذ تنبثق منها الأبيات الشعرية وتعود إليها لتتدفق موجات جديدة. وبهذا، يمكن القول إن القصيدة تمثل بنية واحدة متماسكة في عمقها، ولها صورها وأسلوبها وإيقاعها الخاص.

ويمكن رصد تداعيات القصيدة على النحو الآتي:

اللوحة الأولى: (مخاطبة الخليلين) :[١]

١ خليليَّ ما أُذْني لأوَّلِ عاذل

بِصَغْواءَ في حقٍّ ولا عندَ باطلِ[١]

٢ خليليَّ إنَّ الرأيَ ليسَ بِشِركةٍ

ولا نَهْنَهٍ عندَ الأمورِ البَلابلِ[٢]

---

[١] اعتمد البحث نص اللامية كما وردت في ديوان ابي طالب، جمعه وشرحه د محمد التونجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٤م، ص ٦٣ ـ ٧٤. ولم نغفل العودة الى طبعات الديوان الاخرى التي اوردنا ذكرها في المصادر والمراجع .

يفتتح الشاعر قصيدته بمخاطبة خليليه، وهي سمة اعتاد عليها الشعراء في مخاطبتهم لشخصين، ويعد العاذل من يلوم الشاعر بسبب مواقفه المدافعة عن الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم. وقد يكون هذا اللوم دليلاً على الوعي الجماعي، إذ انَّ الموقف العام يميل إلى اللوم والعتاب. ومع ذلك، ينفي أبو طالب عن نفسه ما تهمسه العواذل في أذنه، فهو لا يحدد موقفه بناءً على ما يمليه عليه العواذل، سواء أكانوا أفراداً أم جماعات، سواء أكان ذلك حقاً أم باطلاً .

ويتضمن البيتان الشعريان عبارة "ما أذني بصغواء" التي تعبر عن نفي هذه الصفة، إذ يتقابل الحق والباطل في البيت الشعري الذي يؤكد فيه الشاعر أنَّ موقفه ليس نتيجة تأثير الآخرين. وفي البيت الثاني، يؤكد الشاعر

---

[١] الصغواء الميلاء والصغو الميل. وينظر: https://www.perplexity.ai/search/bwsfk-stdh-kdymy-thdth-blthlyl-aLYjHaAkTqyQx51EMwcjtg

[٢] النهنه: الثوب الرقيق النسج. البلابل الهموم والوساوس .

أنَّ قيمة الرأي لا تكمن في الاستبداد به، بل في مشاركة الآخرين بعقولهم، وتزداد أهمية التشاور في المواقف الصعبة عندما تتضارب الآراء، وقد حاول تقريب الصورة باستخدام لفظ "نهنه"، الذي يشير إلى الثوب الرقيق النسج، نافياً عن نفسه الضعف .

تجلت في هذين البيتين تكرارا لكلمة (خليلي) لتأكيد الإيقاع والدلالة معاً، كما أن كلمة "نهنه" تتضمن تكرار حرفين. ويمثل هذان البيتان أول لوحة ترتكز على مركز ذاتي يمثله الشاعر، وهو "الأنا". وجدير بالذكر أن الشاعر ينفي ويثبت الدلالات بشكل متوازن.، مما يجعل هذين البيتين يمثلان أول لوحة ترتكز على مركز ذاتي يمثله الشاعر، وينفي ويثبت الدلالات، إذ تعكس المفردات مثل "ما" و"ليس" و"لا" هذا التناقض، مما يدل على المقارنة بين الإثبات والنفي في الموقفين المتعارضين .

إنَّ اللوحة الأولى تشيع فيها الجملة الاسمية، (ما أذني لأول عاذل بصغواء) و (ان الرأي ليس بشركة) تدل على ثبات الدلالة، بمعنى ان هذا جزء ثابت في شخصية

أبي طالب وفي مواقفه، بخلاف الجملة الفعلية التي تدل على الحدوث والتغير [1].

اللوحة الثانية : (موقف القوم المعادي) :

٣ ولمّا رأيتُ القومَ لا وُدَّ عندَهُمْ
وقد قَطَعوا كلَّ العُرى والوَسائلِ [2]
٤ وقد صارحونا بالعداوةِ والأذى
وقد طاوَعوا أمرَ العدوِّ المُزايلِ [3]
٥ وقد حالَفُوا قوما علينا أظِنَّةً
يعضُّون غيظا خَلفَنا بالأناملِ [4]

وإذا كانت اللوحة الأولى تتكون من بيتين يعبر فيهما

---

[1] ينظر فاضل السامرائي، معاني النحو، دار الفكر للطباعة، عمان، ٢٠٠٠م، ١/ ١٥ .

[2] ورفضوا كل العهود والأعراف .

[3] وهم أعلنوا عن أذانا وعداوتنا، واتفقوا مع مآرب العدو والمفارق.

[4] حالفوا عاهدوا أظنَّة مفردها ظنين، وهو المتهم، ويقصد بهم بني بكر بن عبد مناف. يعضون بالأنامل: كناية عن الغيظ والعداوة.

الشاعر عن مركزية "الذات"، فإنه ينتقل إلى اللوحة الثانية لتصبح المركزية هنا للجماعة، ويقوم الشاعر برصد صفات الآخرين الذين " لا ود " لهم (وقد قطعوا) العلاقات كلها، وتتجلى مظاهر السلب هنا عبر "لا ود" و"قطع"، إذ أظهر الآخرون العداوة وأذوهم بالفعل والقول، ليصبحوا صدى وصوتًا للأعداء. وتصل الصورة السلبية ذروتها عندما يتحالف هؤلاء القوم مع الأعداء.

في هذه الأبيات الشعرية، يُظهر الشاعر مزيجًا من الألم والحزن المتشابك مع الشعور بالخذلان والغدر، ويعكس النص موقفًا دراميًا يعبر فيه الشاعر عن تجربته الشخصية مع الأصدقاء الذين تحولوا إلى أعداء، مما يُبرز الشعور بالعزلة والاغتراب: خذلان الاصدقاء (ولمّا رأيتُ القومَ لا وُدَّ عندَهُمْ) إذ يشير إلى انقطاع أواصر المحبة والمودة، وهو ما يعكس ألمًا عميقًا عند الشاعر نتيجة انقطاع الروابط الإنسانية. فضلا عن الغدر والعداوة، (وقد صارحونا بالعداوةِ والأذى) فيوضح الشاعر أن العداوة لم تكن مبطنة أو مخفية بل كانت علنية، مما يضاعف إحساسه بالمرارة.

ويزداد الامر قسوة، حين يتحالفون مع الاعداء (وقد حالَفُوا قوما علينا أظِنَّةً)، إذ يشير إلى الخيانة والتحالف مع أعداء الشاعر، مما يعمق شعور الألم بالخيانة المزدوجة، فضلا عن الحقد والحنق (يعضُّون غيظا خَلفَنا بالأنامل) وهو تصوير بديع يعبّر عن الحقد الدفين والكراهية المتأصلة.

وجدير بالذكر تكثر الجمل الفعلية في هذه اللوحية، (رأيتُ القومَ لا وُدَّ عندَهُمْ) و (قَطَعوا كلَّ العُرى) و (صارحونا بالعداوةِ) و (طاوَعوا أمرَ العدوِّ) و (حالَفُوا قوما) و (يعضُّون غيظا) .. والجملة الفعلية تدل على الحدوث والزوال، بمعنى ان أحوال وصفات هؤلاء القوم تتغير في طبيعتها ومواقفها[1].

اللوحة الثالثة: (الصبر المقترن بالتحدي) :

٦ صَبرتُ لهُمْ نَفسي بسمراءَ سَمحةٍ

وأبيضَ عَضْبٍ من تُراث المقاوِلِ[2]

---

[1] ينظر فاضل السامرائي، معاني النحو، ١/ ١٥ .

[2] الرمح السمحة اللينة. الأبيض: السيف العضب القاطع. المقاول آباؤه.

٧ وأحْضَرتُ عندَ البيتِ رَهْطي وإخوتي

وأمسكتُ من أثوابهِ بالوَصائلِ[١]

يواجه أبو طالب التحديات بصبرٍ يترافق مع قوة الإرادة، حين يستعرض سلاحين: مادي ومعنوي. ويتمثل السلاح المادي في الرمح الاسمر المرن، والسيف القاطع الذي يتسم بلونه الأبيض. يقارن الشاعر بين هذين السلاحين، مشيرًا إلى حركة الرمح ومرونته، وامتداد حركته، بينما يبرز السيف بلونه الأبيض القوي. ويمثل اللون دلالة متداخلة في جماليات القصيدة، فهو يؤثر بشكل عميق في وجدان المتلقي. لذلك، نجد الشعراء يميلون إلى الحديث عن السيف الأبيض الناصع، بوصفه رمزا لقوته في القطع. وهنا يتجلى التضاد بين السمرة والبياض،إذ يرتبط كل منهما بسلاح معين. يُوصف الرمح بأنه ذو سمرة سمحة وقد اكتسب هذا اللون من كثرة الاستخدام، بينما يُشار إلى السيف بأنه أبيض عضب، أي قاطع، وهذا التباين في الألوان يؤثر بشكل كبير في مشاعر

---

[١] البيت الكعبة الوصائل ثياب من صنع اليمن حمراء مخططة باللون الأخضر، مفردها الوصيلة .

المتلقي، ولم يقتصر الشاعر على ذلك، بل تناول أيضًا سلاحه المعنوي المتمثل في دعم عشيرته وتراثهم، حينما يتحدث عن الروابط القوية بإخوته. ثم ينتقل للحديث عن المقدس، حين يتعلق بالأثواب التي تغطي الكعبة.

اللوحة الرابعة: (وصف المقدس المكان والشعائر) :

٨ قياما معا مستقبلين رِتاجَهُ
لدَى حيثُ يَقضي نُسْكَهُ كلُّ نافلِ[١]
٩ وحيثُ يُنِيخُ الأشعرونَ ركابَهُم
بِمَفْضَى السُّيولِ من أسافٍ ونائلِ[٢]

---

[١] معاً مستقبلين رتاجه إذ يَقضي نُسْكَهُ كل نافل. **النسك:** العبادة. النافل: المتطوع. كانوا يقفون حيال باب الكعبة إذ يؤدي المتطوع عبادته. .

[٢] ينيخ يُبرك، الأشعرون: الذين لم يحلقوا رؤوسهم ؛ يريد بهم الحجاج الركاب الإبل. مفضى السيول منتهاها. إساف ونائلة صنمان. ورخم الشاعر نائلة إذ أسقط الحرف الأخير.

١٠ مُوسَّمَةَ الأعضادِ أو قَصَراتِها
مُخيَّسةً بين السَّديس وبازِلِ[١]
١١ تَرى الوَدْعَ فيها والرُّخامَ وزِينةً
بأعناقِها معقودةً كالعثاكلِ[٢]

ويسهم أبو طالب في دقة الوصف للاماكن كافه إذ يقف وقومه أمام باب الكعبة يؤدون الطقوس، حين يؤدي كل حاج مناسكه، وهناك تقابل بين قيام أبي طالب ورهطه وأخوته ووقوفهم أمام باب الكعبة، وإناخة ركاب الحجاج الاخرين عند ملتقى السيول وقرب صنمي اساف ونائلة، ثم يستفيض في وصف مناسك الحج والحجاج، ويشير إلى وقوفهم في أماكن محددة قبل أن تقصر شعورهم، ويصف الأضاحي التي توسم، حين تسعى كل قبيلة إلى

---

[١] الموسمة: المعلَمة ويقال للوسم الذي في الأعضاد السطاع والرقمة، والذي في الفخذ: الخياط، والذي في الكشح: الكشاح. القصرات مفردها القصرة وهي أصل العنق المخيسة: المذللة السديس: الذي دخل في السنة السادسة.

[٢] الودع: خرزات يتحلى بها الصبيان، العثاكل مفردها العثكول، وهو عنقود التمر.

وسم حيواناتها لتأكيد ملكيتها، سواء أكان ذلك عن طريق الكي أم قطع الأذن ام غيرها من الطرق. كما يصف زينة هذه الأضاحي بقطع من الخرز والرخام، وكأنها عراجين نخيل معقودة حول رقابها.

اللوحة الخامس (الاستعاذة بالله والاستفاضة بوصف مناسك الحج) :

١٢ أعوذُ بربِّ النَّاسِ من كلِّ طاعِنٍ
عَلينا بسوءٍ أو مُلِحٍّ بباطلِ[١]

١٣ ومِن كاشحٍ يَسْعى لنا بمعيبةٍ
ومِن مُلِّحٍ في الدِّين ما لم نُحاولِ[٢]

١٤ وثَوْرٍ ومَن أرسى ثَبيراً مَكانَه
وعَيْرٍ، وراقٍ في حِراءٍ ونازلِ[٣]

---

[١] أعوذ: أستجير المُلِّح: المواظب والمتابع. والأبيات المعطوفة بعده كلها يستجير بها .

[٢] الكاشح: الذي يضمر العداوة المعيبة: النقيصة .ومن فاجر يغتابنا بمعيبة.

[٣] ثور وثبير وعير وحراء جبال بمكة..

١٥ وبالبيتِ رُكنِ البيتِ من بطنِ مكَّةٍ
وباللَّهِ إنَّ اللهَ ليس بغافلِ[١]
١٦ وبالحَجَرِ المُسْودِّ إذ يَمْسَحونَهُ
اذا اكْتَنَفوهُ بالضُّحى والأصائلِ[٢]
١٧ ومَوطِىء إبراهيمَ في الصَخرِ رَطَبةَ
على قَدميهِ حافياً غيرَ ناعلِ[٣]
١٨ وأَشواطِ بَينَ المَرْوَتَينِ إلى الصَّفا
وما فيهما من صورةٍ وتَماثِلِ[٤]
١٩ ومن حجَّ بيتَ اللَّهِ من كلِّ راكبٍ
ومِن كلِّ ذي نَذْرٍ ومِن كلِّ راجلِ[٥]

---

[١] وقوله حق البيت أي البيت المتناهي في العظمة .

[٢] اكتنفوه أحاطوا به. الأصائل: مفردها اصيل وقت الغروب .

[٣] موطئ إبراهيم: موضع قدمه على صخرة فبقي أثرها عليها، وهذا هو مقام إبراهيم .

[٤] الأشواط: مفردها الشوط وهو العدو مرة بين الصفا والمروة أ، المروتان: الصفا والمروة.

[٥] الراجل: الماشي .

٢٠ وبالمَشْعَرِ الأقصى إذا عَمدوا لهُ
إلالٍ إلى مَفْضَى الشِّراج القوابلِ[١]
٢١ وتَوْقافِهم فوقَ الجبالِ عشيَّةً
يُقيمون بالأيدي صُدورَ الرَّواحِلِ[٢]
٢٢ ولَيلةِ جَمعٍ والمنازلُ مِن مِنىً
وما فَوقَها من حُرمةٍ ومَنازلِ[٣]
٢٣ وجَمعٍ إذا ما المَقْرُباتُ أجزْنَهُ
سِراعاً كما يَفْزَعْنَ مِن وقعِ وابِلِ[٤]

---

[١] المشعر الأقصى: عرفة. عمدوا قصدوا الإلال جبل بعرفات، من الفعل «أل» أي اجتهد في السير المفضى المنتهى الشراج مفردها الشرج، وهو مسيل الماء. القوابل ؛ المتقابلة .

[٢] التوقاف: .

[٣] ليلة جمع: ليلة المزدلفة، إذ يجتمع الناس فيها.

[٤] المقربات: مفردها المقربة وهي صفة للخيل الكريمة. أجزنه: سرن فيه حتى قطعنه. سراعاً مسرعين ومسرعات. الوابل: المطر الغزير.

٢٤ وبالجَمْرَةِ الكُبرى إذا صَمدوا لها
يَؤمُّونَ قَذْفاً رأسَها بالجنادلِ[١]
٢٥ وكِنْدَةُ إذ هُم بالحِصابِ عَشِيَّةً
تُجيزُ بهمْ حِجاجَ بكرِ بنِ وائلِ[٢]
٢٦ حَليفانِ شَدَّا عِقْدَ ما اجْتَمعا لهُ
وردَّا عَليهِ عاطفاتِ الوسائلِ[٣]
٢٧ وحَطْمُهمُ سُمْرَ الرِّماحِ معَ الظُّبا
وإنفاذُهُم ما يَتَّقي كلُّ نابلِ[٤]

---

[١] الجمرة: موضع رمي الجمار بمنى. يؤمون: يقصدون. قذفاً رأسها يقذفون رأسها. الجنادل الصخور.

[٢] كندة: اسم قبيلة الحصاب: مكان رمي الجمار تجيز بهم تنقلهم وتمرُّ بهم. بكر بن وائل: من بني ربيعة من عدنان.

[٣] يقصد بالحليفين قبيلة كندة وقبيلة بكر. شدّا أحكما ردّا عليه كرّرا عليه. عاطفات الوسائل: الوسائل العاطفة والأسباب المناسبة .

[٤] الحطم: الكسر، الظبا مفردها ظبة وهي حد السيف أو السنان. إنفاذهم إفناؤهم. النابل: الضارب بالنبل .

٢٨ ومَشْئُهم حولَ البِسالِ وسَرْحُهُ
وشِبْرِقُهُ وَخْدَ النَّعامِ الجَوافلِ[١]
٢٩ فهل فوقَ هذا مِن مَعاذٍ لعائذٍ
وهَل من مُعيذٍ يَتَّقي اللَّهَ عادِلِ؟[٢]
٣٠ يُطاعُ بنا الأعدا وودًّا لو أنَّنا
تُسَدُّ بنا أبوابُ تُركٍ وكابُلِ[٣]

تمثل هذه اللوحة عودة جديدة لذات الشاعر، حين يستعيذ بالله من أعدائه ويتحدث عن صفاتهم وخصالهم. اعوذ بالله من: كل طاعن علينا بسوء أو مُلّح بباطل او كاشح يسعى بمعيبة

---

[١] السرح: الشجر العظام الشبرق: نبات ذو شوك. الوخد: السير السريع مثل سير النعام. الجوافل: المسرعة، مفردها الجافلة .

[٢] المعاذ: الملجأ العائذ اللاجئ. المعيذ: العاصم والملجيء. المعنى: يستفهم استفهاماً إنكارياً فيقول: ليس بعد هذا الملجأ ملجأ يحتمي به .

[٣] كابل عاصمة افغانستان الان. يقول: وهل يطيعنا الأعداء، وقد ودّوا أن نقصد بلاد الترك وكابل.

ويستمر الشاعر في الاستعاذة بأماكن مقدسة مثل جبل ثور وثبير وحراء، والحجر الأسود، ومقام إبراهيم، وأشواط الحجاج بين الصفا والمروة. كما يتحدث عن الحجاج الذين يزورون بيت الله سواء كانوا راكبين أو مشاة، مما يخلق صورة حية للحجاج في هذه المشاعر المقدسة في أثناء تأديتهم مناسك الحج، ويواصل الشاعر وصف أماكن الحج الأخرى مثل المشعر الحرام ومنى والجمرات الكبرى وغيرها، وفي الوقت نفسه يطلب العون من الله سبحانه وتعالى لينصرهم على أعدائهم من الطغاة والحاقدين الذين يحملون البخل والكراهية. ويستعرض طقوس الحج ومراسمه، مثل جبلي ثور وحراء، وركن البيت والحجر الأسود، محددا الأماكن التي وطأها إبراهيم والحجاج وما يؤدونه من شعائر.

اللوحة السادسة: (الرد على الاعداء ومدح رسول الله):

٣١ كذَبْتُمْ وبيتِ اللَّهِ نَتْرُكَ مكَّةً
ونظعَنَ إلاَّ أمرُكُم في بَلابلِ[١]
٣٢ كَذَبْتُم وبيتِ اللَّهِ نُبزَى محمدا
ولمّا نُطاعِنُ دونَهُ ونُناضِلِ[٢]
٣٣ ونُسْلِمَه حتى نُصَرَّعَ حَوْلَهُ
ونَذْهُلَ عن أبنائِنا والحَلائلِ[٣]
٣٤ وينهضَ قَومٌ في الحديدِ إليكُمُ
نُهوضَ الرَّوايا تحتَ ذاتِ[٤] الصَّلاصِل

---

[١] البلابل: الوساوس والهموم. يقول خاب أملكم – قسماً – فلن نترك مكة ولن نرحل إلا إذا غرقتم في الوساوس والهموم .

[٢]. نبزى تُغلب ونقهر.

[٣] الحلائل: مفردها الحليلة، وهي الزوجة.

[٤] الروايا: الإبل التي تحمل المياه مفردها الراوية الصلاصل: مفردها الصلصلة؛ المزادة ينقل بها الماء.

٣٥ وحتَّى يُرى ذو الضِّغْنِ يركبُ رَدْعَهُ
منَ الطَّعنِ فِعلَ الأنكَبِ المُتَحامِلِ[١]
٣٦ وإنّي لعَمرُ اللَّهِ إنْ جَدَّ ما أرى
لَتَلْتَبِسَنْ أَسيافُنا بالأماثلِ[٢]
٣٧ بكفِّ امرئٍ مثلِ الشِّهابِ سَمَيْدَع
أخي ثِقَةٍ حامي الحقيقةِ باسلِ[٣]
٣٨ شُهورا وأيّاما وحَولاً مُجرَّما
عَلينا وتأتي حِجَّةٌ بعدَ قابلِ[٤]
٣٩ وما تَرْكُ قَومٍ، لاأبالك، سَيِّدا
يَحوطُ الذِّمارَ غَيرَ ذَرْب مُواكلِ؟[٥]

---

[١] الضغن: الحقد يركب ردعه: يخر على وجهه صريعاً. الردع. اللطخ بالدم الأنكب المائل. المتحامل: الجائر.

[٢]. لتلتبسن: لتختلطن الأماثل: الأشراف؛ فالعربي يتباهى بأنه لا يقاتل إلا سادة الأعداء.

[٣]. السميدع: السيد. باسل: شجاع.

[٤] الحول السنة المجرم الكامل. الحجة: السنة. القابل: السنة القادمة .

[٥] الذمار: ما يدافع المرء عنه ويحميه الذرب الفاحش المنطق المواكل من يكل أمره إلى غيره.

٤٠ وأبيضَ يُسْتَسْقَى الغَمامُ بوجهِهِ
ثِمالُ اليتامى عِصْمةٌ للأرامِلِ[١]
٤١ يلوذُ به الهُلاّكُ من آلِ هاشمٍ
فهُم عندَهُ في نِعمةٍ وفَواضلِ[٢]

يواجه أبو طالب الأعداء بثبات ويؤكد عزيمته على موقفه، مصمماً على قتال الآخرين في أمرين هامين: الأول هو رفضه مغادرة مكة، والثاني هو تمسكه بعدم التخلي عن الرسول. فهو مستمر في الدفاع عنه، ولن يسمح بتسليمه حتى يواجه الموت دونه. ويستعد أبو طالب لمعارك يقود فيها قومه المدججين بالسلاح.

---

[١] الأبيض: السيد الشريف وإن كان أسمر اللون. يستسقى الغمام به: يُدعى الله أن يمطرهم بسببه. الثمال: العماد والملاذ. عصمة: منع ودفاع.

[٢] نعمة: رحمة. يلوذ به يلتجئ إليه ويعوذ به الهلاك الفقراء المعدمون الفواضل : مفردها الفاضلة وهي النعمة المتقدمة .

يواجه أبو طالب الأعداء بثبات ويؤكد عزيمته على موقفه ومصمماً على قتال الآخرين في أمرين مهمين: الأول هو رفضه مغادرة مكة، والثاني هو تمسكه بعدم التخلي عن الرسول، فهو مستمر في الدفاع عنه، ولن يقوم بتسليمه حتى يواجه الموت دونه ويستعد أبو طالب لمعارك يقود فيها قومه المدججين بالسلاح.

ويمدح الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه رجل كريم خالٍ من العيوب، وليس المقصود هنا لون بشرته، بل هو تعبير عن صفاته النبيلة وعلو مكانته. لأنه رمز للبشارة، وقد تحدث عن الرحمة والكرم، إذ كان يحمي الأيتام ويساعد الأرامل، وكان الضعفاء من بني هاشم يلوذون به في أوقات الفقر، فيجدون لديه ما يحتاجون، إنهم يجدون في حضرته زيادة في الخير والبركة.

وتمضي القصيدة على هذا المنوال، لوحات تتابع في تداع مستمر الامر الذي يؤكد ان القصيدة متماسكة البناء، وتعبر عن تجربة شعورية واحدة، وان هذه اللوحات تشبه الموجات التي تنطلق من مركز تمثله ذات الشاعر المبدعة.

اللوحة الأخيرة :

٩٠ لعَمري لقد كَلِفْتُ وَجْدا بأحمدٍ
وإخوتهِ دأبَ المحبِّ المُواصِلِ[١]

٩١ أقيمُ على نصرِ النبيِّ محمدٍ
أقاتلُ عنهُ بالقَنا والقنابلِ[٢]

٩٢ فلا زالَ في الدُّنيا جَمالاً لأهلِها
وزَينا لم ولاَّهُ رَبُّ المشاكِلِ[٣]

٩٣ فمَنْ مثلُهُ في النَّاسِ أيُّ مؤمَّلٍ
إذا قاسَه الحكَّامُ عندَ التَّفاضُلِ[٤]

---

[١] لعمري: قسمي، كلفت أحببت حباً شديداً. الوجد: شدة الحب. إخوته: يريد أولاده الذي كانوا كإخوته وهم: جعفر وعقيل وعلي دأب المحب عادته وطبعه.

[٢] القنا: الرماح. القنابل مفردها القنبل، والقنبلة، وهي الطائفة من الناس أو الخيل.

[٣] ولاه او والاه .

[٤] فمن مثله فليس مثله المؤمل: المرجو لكل خير التفاضل: التغالب بالفضل .

٩٤ حليمٌ رشيدٌ عادلٌ غيرُ طائشٍ
يُوالي إلها ليسَ عنهُ بغافلِ
٩٥ فأيَّدَه ربُّ العبّادِ بنصرهِ
وأظهرَ دَينا حقُّه غيرُ ناصلِ[١]
٩٦فو اللهِ لولا أن أَجيءَ بسُبَّةٍ
تَجُرُّ على أشياخنا في المَحافلِ[٢]
٩٧ لكنَّا اتَّبعْناهُ على كلِّ حالةٍ
منَ الدَّهرِ جِدا غيرَ قَولِ التَّهازُلِ[٣]
٩٨ لقد عَلموا أنَّ ابْنَنا لا مُكذَّبٌ
لَدَيهم ولا يُعْنىَ بقَوْلِ الأباطلِ[٤]
٩٩ رجالٌ كِرامٌ غيرُ مِيلٍ نَماهُمو
إلى الغُرِّ آباءٌ كرامُ المَخاصلِ[٥]

---

[١]. غير ناصل: غير زائل والمعنى: أرجو من الله أن يؤيده بنصر من عنده، ويظهر ديناً ثابتاً دائماً.
[٢] تجر تجني. الأشياخ، الآباء.
[٣] التهازل يقابل قول الجد.
[٤] الأباطل: مفردها الباطل.
[٥] نماهم: رفعهم. الغر: السادة الأشراف، مفردها الأغر، المحاصل: مفردها محصل، وهو السيف القاطع .

١٠٠ دَفَعناهُمو حتَّى تَبَدَّدَ جَمعُهُمْ
وحسَّرَ عنّا كلُّ باغٍ وجاهلِ[١]
١٠١ شَبابٌ منَ المُطَيَّبين وهاشمٍ
كبيضِ السُّيوف بينَ أيدي الصَّياقل[٢]
١٠٢ بِضَربٍ تَرى الفتيانَ فيهِ كأنَّهُم
ضَواري أسودٍ فوقَ لحمٍ خَرادلِ[٣]
١٠٣ ولكنَّنا نسلٌ كرامٌ لسادةٍ
بهم نَعْتلي الأقوامَ عندَ التَّطاوُلِ[٤]

---

[١] دفعناهم: أبعدناهم. حشر: أوقع في الحسرة وآذى.

[٢] أن قبائل المطيبين من قريش هم بنو عبد مناف بن قصي، وبنو أسد بن عبد العزى بن قصي، وبنو زهرة بن كلاب وبنو تميم بن مرة وبنو الحارث بن فهر. فهم يد واحدة في التناصر.

[٣] الضواري: مفردها الضاري كالنمر والأسد، خرادل: القطع الصغيرة، ولا واحد له .

[٤] التطاول: التفاخر ونحن من ذريَّة أسياد نفوق الناس حين المباهاة.

١٠٤ سَيَعْلمُ أهلُ الضِّغْنِ أيِّي وأيُّهُمْ
يفوزُ ويعلو في ليالٍ قلائلِ[١]
١٠٥ وأيُّهُمو منِّي ومنْهُم بسيفهِ
يُلاقي إذا ما حانَ وقتُ التَّنازُلِ[٢]
١٠٦ ومَنْ ذا يمَلُّ الحربَ مني ومِنْهمو
ويحمدُ في الارْفاقِ مِن قَولِ قائلِ؟
١٠٧ فأصبحَ فينا أحمدٌ في أُرومةٍ
تُقصِّرُ عنها سَورةُ المُتَطاوِلِ[٣]

يؤكد أبو طالب قسمه أنه يحب محمد حبًا عميقًا، وأنه سيظل دائمًا نصيرًا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، مدافعًا عنه بالرماح وكتائب الخيول. ويعد محمدا عليه الصلاة والسلام فخرًا للناس، حين ساهم في حل العديد من المشكلات، وقد يشير إلى حادثة وضع الحجر

---

[١] الضغن: الحقد .
[٢] التنازل: المنازلة .
[٣] الأرومة: الأصل.. تقصر: تعجز.

الأسود في الكعبة في اثناء ترميمها، لقد كان الرسول محمد صلى الله عليه وسلم يتمتع بمكانة رفيعة قبل النبوة بفضل أخلاقه السامية، ويواصل أبو طالب مدح الرسول، مشيرًا إلى أنه يتمتع بالعقل والرزانة، وأن دعوته ليست هوجاء، بل تسير وفق هدى الله الذي لا يغفل عنه. ويؤكد أن الله قد أيد الرسول بالنصر، وأن دعوته ستنتشر وتنتصر، وأن خصوم محمد يعرفون أنه لا يتحدث بكذب، فهو لا يهتم بنشر الباطل. كما يبرز أن بني هاشم هم رجال كرام ينحدرون من أصول نبيلة، ويتصفون بالصفات الحميدة، ويتميزون بشبابهم الكريم من حلف المطيبين، كالسيوف اللامعة التي صقلها الرجال. ويشير أبو طالب إلى استعداده للتضحية بنفسه من أجل الرسول، مؤكدًا أنه سيستمر في حمايته، وأن الله سينصر محمدًا في الدنيا والآخرة.

وفي ضوء هذا، تمثل الذات الشاعرة مركز الابداع الشعري، وان تداعيات الشاعر تشع وتتموج من الذات الشاعرة، ثم تعود هذه الموجات واللوحات من جديد الى المركز، لتبدأ موجة جديدة او لوحة جديدة، الامر الذي

يؤكد ان القصيدة متماسكة تماما في بنيتها، وليس تكديسا للأبيات الشعرية دون نسج او نظام.

وقد يتوهم بعضهم أنَّ لامية أبي طالب تدل على التفكك بسبب بنيتها المتعددة الاغراض وتنوع وحداتها اختلاف ألوانها على وفق المثيرات التي أدت إلى نظمها وإبداعها، ولكنها، في الحقيقة، تعبر عن نوع خاص من التداعي وهذا التنقل ليس تنويعا للموضوعات بل هو تداعٍ منظم يستدعي الصور والدلالات بوصف القصيدة بنية ونسيجا متماسكا يثري المعنى الكلي للقصيدة .

لغة القصيدة

تمثل اللغة الوجود الموضوعي للقصيدة، تمامًا كما يمثل الحجر أداة النحات. فان المفردات والتراكيب اللغوية تشكل مادة الشعر، ويختلف استخدام اللغة على وفق المجالات المتنوعة. فالتواصل هو الهدف الأساس في العلوم والمعارف، بينما التأثير هو الغاية الرئيسة في الإبداع الشعري.

تتميز القصيدة بأسلوبها الفريد في استخدام الألفاظ والتراكيب، إذ تخضع لذوق الشاعر في اختيار المفردات وكيفية تشكيل التراكيب لتؤدي دلالات جمالية تعتمد الرمزية والإيحاء. لا شك أن هناك "علاقه حميمة بين لغة الكاتب وشخصيته " [1]كما يقول ستيفن اولمان، إذ تعكس لغة الشعر الألفاظ التي يكثر الشاعر من استخدامها، مما يمثل قيمة معرفية وفنية في آن واحد .

تتراكم الألفاظ وطرائق توظيفها لدى الشاعر عبر كلماته بطريقة خاصة تكشف عن الدلالات والمضامين التي يسعى إلى إيصالها فكل كاتب " كلمته المفضلة التي تتكرر باستمرار عبر اسلوبه وتكشف بطريقه عفوية بعض رغباته الخفية او بعض نقاط ضعفه " [2]وهذا يعني ان الناقد يستطيع الوصول الى مفتاح ادب الشاعر اذا

---

[1] مجموعة من المؤلفين، الخيال، الأسلوب، الحداثة، ترجمة جابر عصفور، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص ١٩٨ .

[2] نفسه، ص ٢٠٦.

تمكن من الكشف عن الكلمة او الكلمات التي تتردد في ادبه اكثر من سواها.[1]

ويتجلى في المعجم الشعري لأبي طالب الجانب الوجداني في الصراع بين الذات والآخر، وبين الجماعة والجماعة المضادة. يتضمن هذا المعجم مفردات وتراكيب تعبر عن الحزن والألم والحب والتحدي والمفارقة والمقاومة، فضلا عن مفردات تتعلق بالمقدس والإيمان والحرب والمقارنة، يستخدم أبو طالب الألفاظ بطريقة خاصة تتناسب مع المواقف الذي يرغب في التعبير عنها، مما يجعله ينحرف عن المعاني المعجمية التقليدية إلى استخدامات خاصة من ناحية اختيار المفردات وطبيعة التراكيب.

يستعرض المعجم الشعري جانبًا من رؤية الشاعر ومواقفه، إذ يتضمن بعدين رئيسين: الأول هو الرصد الكمي للألفاظ، والثاني هو كيفية صياغة هذه الألفاظ

[1] مجموعة من المؤلفين، الخيال، الأسلوب، الحداثة، ص ٢٠٦.

لتؤدي دلالاتها المعرفية والجمالية. وفي هذا السياق، نركز على ملمحين بارزين، هما الملامح الدينية في القصيدة ومدح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

الملامح الدينية:

تهيمن المفردات الدينية على لامية أبي طالب، إذ يحتل لفظ الجلالة مكانة بارزة، إذ وردت كلمة "الله" ١٢ مرة، بالإضافة فضلا عن تتكرر أيضًا أسماء الأماكن المقدسة بشكل لافت، مثل "البيت" و"ركن البيت" و"جبل ثور" و"ثبير" و"منى" و"صفا" و"المروة" و"الحجر الأسود" و"مقام إبراهيم" و"المسجد الأقصى" و"الهجرة الكبرى، كما تتكرر ألفاظ "الحق" و"الباطل" في اللامية، إذ وردت كلمة "الحق" خمس مرات و"الباطل" خمس مرات أيضًا ."و تتكرر بعض الطقوس والمناسك المرتبطة، مثل وصف الحجاج الأضاحي والإبل وزينتها، فعلى سبيل المثال لا الحصر، يقول:

١٥ وبالبيتِ رُكنِ البيتِ من بطنِ مكَّةٍ

وباللَّهِ إنَّ اللهَ ليس بغافلِ

ويقول

١٩ ومن حجَّ بيتَ اللَّهِ من كلِّ راكبٍ

ومِن كلِّ ذي نَذْرٍ ومِن كلِّ راجلِ

ويقول:

١٥ وبالبيتِ رُكنِ البيتِ من بطنِ مكَّةٍ

وباللَّهِ إنَّ اللهَ ليس بغافلِ

ويقول:

١٧ ومَوطِىء إبراهيمَ في الصَخرِ رَطَبةَ

على قَدميهِ حافياً غيرَ ناعلِ

١٨ وأَشواطِ بَينَ المَرْوَتَينِ إلى الصَّفا

وما فيهما من صورةٍ وتَماثِلِ

١٩ ومن حجَّ بيتَ اللَّهِ من كلِّ راكبٍ

ومِن كلِّ ذي نَذْرٍ ومِن كلِّ راجلِ

في هذه الحالة، يكتسب المناخ العام للقصيدة طابعًا دينيًا مقدسًا، سواء أكانت الطقوس الدينية جاهلية ثم أقرها الإسلام، أم لم تكن مرتبطة بشكل مباشر بالمفاهيم

الجاهلية، ومع ذلك، يُستثنى من ذلك ذكر بعض الأصنام مثل صنمي أساف ونائلة، إذ ذُكرا ليس بوصفهما أصنامًا، بل لتحديد موقع مكان السعي فيقول:

حيثُ يُنِيخُ الأشعرونَ ركابَهُم

بِمَفْضَى السُّيولِ من أسافٍ ونائلِ

مدح الرسول:

إن قصيدة لامية أبي طالب تُعَدّ من أبرز الأعمال الأدبية التي تبرز الدفاع عن الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، بل لعلها اول قصيدة تقال في مدحه، إذ تتناول صفاته وخصاله النبيلة. وتتنوع وحدات القصيدة وأسلوبها الفني، لكنها في جوهرها تهدف إلى التعبير عن الفخر بالرسول والدفاع عنه .

في هذا السياق، يُبرز أبو طالب الصفات التي يتمتع بها الرسول، مشيرًا إلى كرمه وأخلاقه العالية، حين وصفه بأنه يحمي الأيتام ويساعد الأرامل، ويعد الفقراء في نعمة وكرامة. ويُجسد الرسول جمال الدنيا وزينتها، ولا يُوجد مثله بين الناس، فهو عادل ورشيد، يولي الله اهتمامه ولا

يغفل عنه، وقد أيده الله بنصره، مما جعله يظهر دينه بوضوح. كما كان أبو طالب يصف الرسول بأنه "ابننا"، مؤكدًا على صدقه ورفضه للأباطيل، فيقول:

٤٠ وأبيضَ يُسْتَسْقَى الغَمامُ بوجهِهِ
ثِمالُ اليتامى عِصْمةٌ للأرامِلِ
٤١ يلوذُ به الهُلاّكُ من آلِ هاشمٍ
فهُم عندَهُ في نِعمةٍ وفَواضلِ

ويقول:

٩٠ لعَمري لقد كَلِفْتُ وَجْدا بأحمدٍ
وإخوتهِ دأبَ المحبِّ المُواصِلِ
٩١ أقيمُ على نصرِ النبيِّ محمدٍ
أقاتلُ عنهُ بالقَنا والقنابلِ
٩٢ فلا زالَ في الدُّنيا جَمالاً لأهلِها
وزَينا لم ولاَّهُ رَبُّ المشاكِلِ
٩٣ فمَنْ مثلُهُ في النَّاسِ أيُّ مؤمَّلٍ
إذا قاسَه الحكَّامُ عندَ التَّفاضُلِ
٩٤ حليمٌ رشيدٌ عادلٌ غيرُ طائشٍ
يُوالي إلها ليسَ عنهُ بغافلِ

٩٥ فأيَّدَه ربُّ العبّادِ بنصرهِ

وأظهرَ دَينا حقُّه غيرُ ناصلِ

٩٦فو اللهِ لولا أن أَجيءَ بسُبَّةٍ

تَجُرُّ على أشياخنا في المَحافلِ

٩٧ لكنَّا اتَّبعْناهُ على كلِّ حالةٍ

َ الدَّهرِ جِدا غيرَ قَولِ التَّهازُلِ

٩٨ لقد عَلموا أنَّ ابْنَنا لا مُكذَّبٌ

َدَيهم ولا يُعْنىَ بقَوْلِ الأباطلِ

٩٩ رجالٌ كِرامٌ غيرُ مِيلٍ نَماهُمو

إلى الغُرِّ آباءٌ كرامُ المَخاصلِ

لقد دافع أبو طالب عن الرسول في معظم أبيات القصيدة، حين قال: "صبرت لهم نفسي"، مهددًا بالرمح والسيف، ومُظهرًا استعداده لحشد قومه للدفاع عن الرسول. ويؤكد أنه لن يترك مكة، ولن يتوانى عن نصرته، مُعبرًا عن استمراره في النضال والدفاع، مُستخدمًا سيوفه في القتال. يقول :

٦ صَبرتُ لهُمْ نَفسي بسمراءَ سَمحةٍ

وأبيضَ عَضْبٍ من تُراث المقاوِلِ

٧ وأحْضَرتُ عندَ البيتِ رَهْطي وإخوتي
وأمسكتُ من أثوابهِ بالوَصائلِ

ويقول :

٣١ كذَبْتُمْ وبيتِ اللَّهِ نَتْرُكَ مكَّةً
ونظعَنَ إلاَّ أمرُكُم في بَلابل

٣٢ كَذَبْتُم وبيتِ اللَّهِ نُبزَى محمدا
ولمّا نُطاعِنُ دونَهُ ونُناضِلِ

٣٣ ونُسْلِمَه حتى نُصَرَّعَ حَوْلَهُ
ونَذْهُلَ عن أبنائِنا والحَلائلِ

٣٤ وينهضَ قَومٌ في الحديدِ إليكُمُ
نُهوضَ الرَّوايا تحتَ ذاتِ[1] الصَّلاصِل

٣٥ وحتَّى يُرى ذو الضِّغْنِ يركبُ رَدْعَهُ
منَ الطَّعنِ فِعلَ الأنكَبِ المُتَحامِل

---

[1] الروايا: الإبل التي تحمل المياه مفردها الراوية الصلاصل: مفردها الصلصلة؛ المزادة ينقل بها الماء. المعنى: وحتى يحمل رجالنا عليكم بحديدهم، فيسمع لأسلحتهم صليل كصليل المياه في المزادات حين تنهض الدواب بها. وروي «الدروع» في الدلائل، و «حلاحل».

٣٦ وإنّي لعَمرُ اللَّهِ إنْ جَدَّ ما أرى
لَتَلْتَبِسَنْ أَسيافُنا بالأماثلِ

تميل لغة لامية أبي طالب إلى التركيز على الوقائع والحقائق، مما يجعلها غالبًا تبتعد عن الزخرفة اللفظية وتعقيد المفردات، فهو يسرد أفكاره وتصوراته بشكل مباشر، ويجمع بين المعاني التي يرغب في توضيحها، يتجلى ذلك بوضوح في حديثه عن الأماكن المقدسة ومناسك الحج، وكذلك عندما يذكر أسماء الذين عارضوا أبا طالب أو الذين وقفوا إلى جانبه، مما يمثل جزءًا كبيرًا من مضمون اللامية.

الإيقاع:

يمثل التكرار والتوقع الاساس الجوهري الذي يرتكز عليه الايقاع بشقيه الخارجي متمثلا في الوزن والقافية والداخلي بالتلوينات الإيقاعية المختلفة التي تحدثها المكونات الصوتية للحروف والتراكيب وتتمثل صوره الايقاع بحركات منتظمة في مجموعات متشابهة

ومتساوية[1]وهذا يعني ان هناك بعدين يمثلان طبيعة الايقاع وهما الحركة والتنظيم ففي الحركة يتمثل الجانب المادي من الايقاع وبالتنظيم يتمثل الجانب الذهني[2].

ان الاصوات اللغوية هي المادة التي يتشكل منها النص الشعري وانها تتميز بتضمنها الدلالات وتشتمل على الحركة والتنظيم الذي يحكم الايقاع باسره بمعنى ان " الوزن الشعري يستمد فعاليته من اللغة وليس محاكاة فن اخر كالموسيقى " [3]

وتتسم لامية أبي طالب بالانسجام في بنائها الكلي ومكوناتها الداخلية المختلفة ويتجلى الانسجام في ذلك التوائم بين الالفاظ ومواقعها في اللوحات المختلفة وموضوعاتها المتعددة سواء كان عتابا ام تالمًا ام تهديدا ام مدحا بمعنى ان الانسجام يحقق التوائم بين البناء

---

[1] ينظر: شكر عياد، موسيقى الشعر، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٦٨ م، ص ٥٣ .

[2] ينظر: فؤاد زكريا مع الموسيقى الهيئة العربية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧١م ص ٦١.

[3] جابر عصفور مفهوم الشعر دار الثقافة للطباعة والنشر القاهرة ١٩٧٨م، ص ٣٧٥ .

الكلي وتفصيلاته، ان الانسجام يدور على التنويع والتكرار، فالتكرار واضح في تناوب تفعيلتين (فعول مفاعيلن) في القصيدة باسرها على اساس بحر الطويل:

فعول مفاعلين فعول مفاعلن فعول مفاعلين فعول مفاعلن

يعد الطويل من اطول بحور الشعر العربي واعظمها ابهة وجلالا واليه يعمد اصحاب الرصانة [١]، ولقد فضل الشعراء الاولون البحر الطويل على غيره في باب القصص المتصل بماضيهم واخبارهم واساطيرهم وملاحم قبائلهم في الازمان السالفة [٢]، وتذهب نازك الملائكة الى القول بان البحر الطويل من اهم البحور لما يساعد عليه في استرسال في الفكر وطول في العبارة ولما له من موسيقى متدفقه واكثر ما يستعمل في قصائد الحكمة والتأمل الفكري والمدح والفخر [٣]

---

[١] عبد الله الطيب المجدوب، المرشد الى فهم اشعار العرب وصناعتها ٤٤٣/١.

[٢] نفسه، ١ / ٤٥٠ .

[٣] ينظر نازك الملائكة، موسيقى الشعر محاضرات، الكويت، ٢٠٠٣م، ص ٤٦ .

وتعد القافية احد ركائز الشعر الموسيقي في الشعر العربي فهي برنينها وجرسها المتكرر تستثير احساسا بالمتعة والجمال [١] ويعد اللام والميم من احلى القوافي [٢].
اما حرف الروي اللام فله تأثيره في ايقاع القصيدة، لأنه يمثل مرتكزا يتوقف عنده البيت الشعري، ليعود بعد ذلك بموجة شعرية جديدة، وجدير بالذكر ان صدر البيت يمثل ايقاعا صاعدا، وان عجز البيت يمثل ايقاعا هابطا، ينتهي عند حرف الروي اللام، الذي يمثل هذا المرتكز الذي اشرنا اليه .وقد تكرر حرف اللام في الكلمة التي اشتملت على حرف الروي، وهي كما يأتي:
البلابل، الوسائل، المزايل، الأنامل، المقاول، الوصائل، العثاكل، الاصائل، القوابل، الرواحل، الجنادل، الوسائل، الجوافل، بلابل، الحلائل، الصلاصل، المتحامل، الاماثل، للارامل، لأكل، القبائل، المكايل، المخاتل، البلابل، الدواخل، الجلائل، المساجل، العياطل، الاوائل،

---

[١] نازك الملائكة، موسيقى الشعر محاضرات، ص ١١ .
[٢] عبد الله الطيب المجذوب، المرشد الى فهم اشعار العرب وصناعتها، ٤ / ٤٥.

الكواهل، القبائل، حلاحل، للمفاصل، المعاقل، التخاذل، المداخل، المطافل، المواصل، القنابل، المشاكل، التفاضل، التهازل، الأباطل، المحاصل، قلائل، التنازل، المتطاول، الكلاكل، التجادل .

وقد ورد اللام مرة واحدة بوصفه حرف روي في البيت الشعري الاتي:

بَني أمَّةٍ مجنونةٍ هِنْدَكيَّةٍ

بَني جُمَحٍ عُبَيدَ قَيسِ بنِ عاقلِ

وتكرر حرف اللام وبضمنه حرف الروي عشر مرات في البيت الشعري الاتي:

فلا زالَ في الدُّنيا جَمالاً لأهلِها

وزَينا لم ولاَّهُ رَبُّ المشاكِلِ

وهذا سرد بعدد تكرار حرف اللام وبضمنه حرف الروي ، وقد بلغ : ٥١٨ حرفا ، وعلى النحو الاتي:

رقم البيت	تكرار اللام	رقم البيت	تكرار اللام	رقم البيت	تكرار اللام	رقم البيت	تكرار اللام	رقم البيت	تكرار اللام
١	٧	٢٣	٢	٤٥	٣	٦٧	٥	٨٩	٧
٢	٩	٢٤	٥	٤٦	٦	٦٨	٥	٩٠	٦
٣	٨	٢٥	٢	٤٧	٧	٦٩	٧	٩١	٦
٤	٥	٢٦	٥	٤٨	٣	٧٠	١	٩٢	١٠
٥	٥	٢٧	٤	٤٩	٢	٧١	٧	٩٣	٥
٦	٣	٢٨	٦	٥٠	٣	٧٢	٦	٩٤	٦
٧	٣	٢٩	٥	٥١	٥	٧٣	٤	٩٥	٢
٨	٤	٣٠	٣	٥٢	٥	٧٤	٣	٩٦	٧
٩	٤	٣١	٤	٥٣	٢	٧٥	٤	٩٧	٨
١٠	٣	٣٢	٣	٥٤	٣	٧٦	٤	٩٨	٨
١١	٤	٣٣	٦	٥٥	٦	٧٧	٢	٩٩	٦
١٢	٥	٣٤	٦	٥٦	٣	٧٨	٤	١٠٠	٢
١٣	٥	٣٥	٦	٥٧	٣	٧٩	٣	١٠١	٤
١٤	١	٣٦	٦	٥٨	٥	٨٠	٣	١٠٢	٣
١٥	٦	٣٧	٤	٥٩	٧	٨١	٦	١٠٣	٧
١٦	٦	٣٨	٣	٦٠	٤	٨٢	٧	١٠٤	٨
١٧	٣	٣٩	٤	٦١	٨	٨٣	٣	١٠٥	٣
١٨	٤	٤٠	٥	٦٢	٧	٨٤	٢	١٠٦	٥
١٩	٥	٤١	٥	٦٣	٤	٨٥	٣	١٠٧	٢
٢٠	٨	٤٢	٥	٦٤	٤	٨٦	٣	١٠٨	٥
٢١	٥	٤٤	٣	٦٥	٣	٨٧	٨	١٠٩	٥
٢٢	٥	٤٤	٦	٦٦	٦	٨٨	٢	١١٠	٦

ويكثر ورود حرف اللام في القصيدة في غير حرف الروي، ويصل في بعض الابيات الى اكثر من عشرة حروف، الامر الذي يؤكد بهاءه وجماليته، وتتابع الابيات

ملتزمة التكرار وتنويعه في القصيدة كلها، وقد يكون التكرار لفظة او عبارة الذي يراد منها تقويه النغم [1]، مثل قوله:

١ **خليليَّ** ما أُذْني لأوَّلِ عاذل
بِصَغْواءَ في حقٍّ ولا عندَ باطلِ
٢ **خليليَّ** إنَّ الرأيَ ليسَ بِشِركةٍ
ولا نَهْنَهٍ عندَ الأمورِ البَلابلِ

ويقول:

٣١ **كذَبْتُمْ وبيتِ اللهِ** نَتْرُكَ مكَّةً
ونظعَنَ إلاَّ أمرُكُم في بَلابلِ
٣٢ **كَذَبْتُم وبيتِ اللهِ** نُبزَى محمدا
ولمّا نُطاعِنُ دونَهُ ونُناضِلِ

وتكرار خليلي هنا، يقصد منه تقوية النغم، ولكنه في الوقت نفسه يتضمن عتابا لرفيقيه، وقد يكون تنويعا

---

[1] عبد الله الطيب المجذوب، المرشد الى فهم اشعار العرب وصناعتها، ١/ ٤٤٣.

لموضوعات متعددة ويتجلى ذلك في هذه القصيدة في تنويع تكرار المقدسات واماكنها والمناسك وانواعها كما يتجلى كذلك في تنوع اسماء اعداء أبي طالب وتكرار اسمائهم ان هذا التكرار والتنوع المراد منه تقويه المعاني التفصيلية[1]

وتشتمل لاميه أبي طالب على نمط اخر من التكرار يمكن ان نطلق عليه التكرار الضمني ففي هذه الابيات يقول :

أعوذُ بربِّ النَّاسِ من كلِّ طاعِنٍ
عَلينا بسوءٍ أو مُلِحٍّ بباطلِ
ومِن كاشحٍ يَسْعى لنا بمعيبةٍ
ومِن مُلحِقٍ في الدِّين ما لم نُحاولِ
وثَوْرٍ ومَن أرسى ثَبيراً مَكانَه
وعَيْرٍ، وراقٍ في حِراءٍ ونازلِ
وبالبيتِ رُكنِ البيتِ من بطنِ مكَّةٍ
وباللَّهِ إنَّ اللهَ ليس بغافلِ

[1] عبد الله الطيب المجذوب، المرشد الى فهم اشعار العرب وصناعتها، ٢/ ٥٩ .

وبالحَجَرِ المُسْودِّ إذ يَمْسَحونَهُ
إذا اكْتَنَفوهُ بالضُّحى والأصائلِ
ومَوطِىء إبراهيمَ في الصَخرِ رَطْبَةً
على قَدميهِ حافياً غيرَ ناعلِ
وأَشواطِ بَينَ المَرْوَتَينِ إلى الصَّفا
وما فيهما من صورةٍ وتَماثِلِ
ومن حجَّ بيتَ اللَّهِ من كلِّ راكبٍ
ومِن كلِّ ذي نَذْرٍ ومِن كلِّ راجلِ
وبالمَشْعَرِ الأقصى إذا عَمدوا لهُ
إلالٍ إلى مَفْضَى الشِّراج القوابلِ

يشرع ابو طالب بالاستعاذة برب الناس ثم ينتقل بالتكرار الضمني للاستعاذة بأبيات لاحقه اما بتكرار حرف الجر او تكرار حرف العطف او بهما معا الامر الذي يضفي دلاله ايقاعيه تمثل مرتكزا، يعتمد عليه ويعود اليه مرة اخرى، وكأنه يقول:
اعوذ برب الناس من كل ظاعن علينا بسوء او ملح بباطل

اعوذ برب الناس ومن كاشح يسعى لنا بمعيبة ومن ملحق في الدين ما لم نحاول
اعوذ برب الناس وثور ومن ارسى ثبيرا مكانه وعير وراق في حراء ونازل
اعوذ برب الناس وبالحجر المسود
اعوذ برب الناس وبالمشعر الاقصى

ان لامية أبي طالب تمثل قصيدة لها أهميتها التاريخية والفنية، ولم تكن مجرد وثيقة شعرية مهمة في تاريخ الابداع الشعري المخضرم، بل هي شاهد على التحولات الفكرية والسياسية التي حدثت في مكة، وان دراستنا لهذه القصيدة اكدت التماسك الوثيق بين مكوناتها المختلفة، من ناحية بنية القصيدة، ولغتها، وايقاعها .

المصادر والمراجع:

أبو طالب، ديوان أبي طالب، جمعه وشرحه د محمد التونجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٤م.

أبو طالب، ديوان أبي طالب بن عبد المطلب، صنعة أبي هفان البصري، ٢٥٧ هـ، وصنعة علي بن حمزة البصري التميمي، ٣٧٥ هـ، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، دار الهلال، ٢٠٠٠م.

أبو طالب، ديوان شيخ الاباطح أبي طالب رضوان الله عليه، جمع أبي هفان عبد الله بن احمد المهزمي، المتوفى ٢٥٧ هـ، تحقيق محمد باقر المحمودي، مجمع احياء الثقافة الإسلامية، قم، د.ت .

ادونيس، مقدمة للشعر العربي،، دار العودة، بيروت، د. ت.

البغدادي، خزانة الادب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٦م.

ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم دار احياء الكتب العربيه عيسى البابي الحلبي وشركاء ط ١، ١٩٥٩م.

جابر عصفور مفهوم الشعر دار الثقافة للطباعة والنشر القاهرة ١٩٧٨م.
الخليل بن احمد الفراهيدي، العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الهلال، بيروت، د. ت .
ديفيد هيوم، تحقيق في الذهن البشري ترجمة محمد محجوب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٨م.
سجاد عباس حمزة، الاستشهاد بشعر أبي طالب في المسائل النحوية، مجلة "أوراق ثقافية" في العدد ٩ من السنة الرابعة، عام ٢٠٢٢م.
سيبويه، كتاب سيبويه، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٦م.
سيزا قاسم، بناء الرواية، الهيأة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م.
شكري عياد، موسيقى الشعر العربي، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٦٨م.
عادل صادق، الألم النفسي والعضوي، القاهرة، د .ت، ٢٠٠٨م.

عبد الله الخنيزي ، مؤمن قريش، دراسة وتحليل ، دار الغدير ، قم ، ١٩٨٣.
عبد الله الطيب المجدوب، المرشد الى فهم اشعار العرب وصناعتها، الكويت، ١٩٨٩م.
ف. أ. ماثيسن، ت. س. اليوت الشاعر الناقد، ترجمة احسان عباس مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بيروت، نيويورك، ١٩٦٥م.
فؤاد زكريا مع الموسيقى الهيئة العربية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧١م.
فاضل السامرائي، معاني النحو، دار الفكر للطباعة، عمان، ٢٠٠٠م.
فالتر براونه، الوجودية في الجاهلية، مجلة المعرفة السورية، العدد: ٤، حزيران، ١٩٦٤م.
ابن كثير البداية والنهاية، مكتبه المعارف، بيروت ١٩٩١م.
كريم الوائلي، الخطاب النقدي عند المعتزلة، مكتبة زاكي، بغداد، ٢٠٢م.
كريم الوائلي، الشعر الجاهلي قضاياه وظواهره الفنية، الجيل الجديد، صنعاء، ٢٠٠٣م.

مجموعة من الكتاب، الخيال، الأسلوب، الحداثة، ترجمة جابر عصفور، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٩م.

محمد فتحي الشنيطي، مبحث للفهم الانساني لجون لوك الرابط على شبكة الانترنت:

file:///C:/Users/Dr.Kareem/Desktop/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%84%D9%85/%D9%85%D8%A8%D8%AD%D8%AB-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%87%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%86%D8%B3%D8%A7%D9%86%D9%8A-%D9%84%D8%AC%D9%88%D9%86-%D9%84%D9%88%D9%83%20(1).pdf

منير وهبي الخازن في "معجم مصطلحات علم النفس، دار النشر للجامعيين، بيروت، دون تاريخ.

نازك الملائكة، موسيقى الشعر محاضرات، الكويت، ٢٠٠٣م.

ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: محمد عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٠م.

الفهرست

المقدمة..... ٣
قراءة التاريخ ٩
لاميةُ أبي طالب دراسة إحصائية توثيقية ٣١
تداعيات متألم قراءة في لامية أبي طالب ٨٩
الفهرست ١٥٤